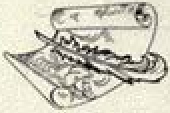
الأعلام من الأدباء والشعراء



أبو الفرج الأصفهاني

عصره - سيرة حياته - مؤلفاته

إعداد

الدكتور حسين عاصي

أستاذ في الجامعة اللبنانية

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الأعلام من الأدباء والشعراء

أبو الفرج الأصفهاني

عصره - سيرة حياته - مؤلفاته

إعداد

الدكتور حسين عاصي

أستاذ في الجامعة اللبنانية

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٨١٥٥٧٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥
فاكس: ٠٠/١٢١٢/٤٧٨١٣٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعتبر أبو الفرج الأصفهاني من أهم الأدباء الذين عرفتهم اللغة العربية لما لمؤلفاته عامة ولكتابه الأغاني خاصة من شهرة واسعة وصيت ذائع منذ ظهر للناس في أواسط القرن الرابع للهجرة وحتى يومنا هذا، فقلّ من لم يسمع به أو لم يقرأ طرفاً منه أو يعتمد عليه مصدراً من مصادر التأليف في الأدب والفن وتاريخ المسلمين وحضارتهم منذ أقدم العصور وحتى القرن الرابع للهجرة. ولسنا في حاجة إلى الدلالة على قيمة هذا الكتاب وأهميته، وقد عبر ابن خلدون عن ذلك فوصفه بأنه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن، ولا يعدل به كتاب آخر فيما نعلمه، فهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها، وأنّى له بها. وهو كما قال المقريزي من المصنفات التي سارت ألقابها بخلاف مضمونها، سماه الأغاني، وفيه كل شيء. وإلى هذا المعنى يذهب أبو بكر بن العربي حين قال: وإنما أخل به اسمه الأغاني، ولو أسماه قلائد المعاني وشرائف المباني لكان أولى.

ولا تقل سائر كتبه المفقودة أو التي وصلت إلينا عن الأغاني قيمة وحجماً، بل قد تبزه في ذلك بعض كتبه المفقودة، وكلها تفصح عن ثقافته الموسوعية الشاملة التي كان لها أثرها الكبير جداً في تنوع اتجاهاته في تأليف كتبه، واختلاف ألوانها ومضامينها، فهي تشمل الأدب والنقد والموسيقى والغناء والتاريخ والأيام والأنساب والحديث، إذ كان لكل فن من هذه الفنون نصيب في كتبه وآثاره، كما كان لها أثر واضح في كل كتاب منها أيضاً.

ومع ما لهذه الكتب من قيمة كبرى، وشهرة فائقة، فإن مؤلفها قليل الذكر في كتب المؤلفين والدارسين، إذ طالما اكتفوا بالإشارة إلى شهرته والاستغناء بها عن الإفاضة في ذكر أخباره وشرح أحواله، فصار أديباً مشهوراً بكتبه فحسب.

وعن عصر أبي الفرج وجوانب شخصيته المختلفة ومؤلفاته ستدور أبحاث هذا الكتاب آملين الوفاء بالقصد.

الفصل الأول
عصر أبي الفرج الأصفهاني

عاصر أبو الفرج الأصفهاني خلال حياته المديدة، الفترة الأخيرة من العصر الذي اصطلح على تسميته بالعصر العباسي الثاني أو عصر النفوذ التركي، والذي استمر قرابة قرن من الزمن بدايته وفاة الواثق سنة ٢٣٢ هـ، وصدراً من عصر بني بويه الذين استبدوا بالسلطة في بغداد منذ سنة ٣٣٤ هـ.

تبدأ هذه المرحلة بفترة الفوضى التي ابتدأت بمقتل المتوكل واستمرت تسع سنوات (٢٤٧ ـ ٢٥٦ هـ/٨٦١ ـ ٨٦٩ م) حكم فيها أربعة من الخلفاء هم المنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهتدي، وقد دفعوا حياتهم ثمناً لمحاولاتهم إبعاد الأتراك عن مجال التحكم والسيطرة على الخلافة. مرت بعدها الدولة العباسية بفترة من الاستقرار والهدوء شملت عهوداً ثلاثة من الخلفاء هم المعتمد والمعتضد والمكتفي (٢٥٦ ـ ٢٩٥ هـ/٨٦٩ ـ ٩٠٧ م). وهي تمثل فترة انتعاش لمؤسسة الخلافة تمكن خلالها الخلفاء من إقصاء تدخل الجند في إدارة الدولة إلى حد كبير، مع أن جزءاً كبيراً من هذه الفترة أمضوها في صراع مستمر بوجه خطر ثورة الزنج التي هددت كيان الدولة بالزوال.

بوفاة المكتفي تنتهي الفترة التي عادت فيها إلى الدولة هيبة الخلافة، واسترجعت خلالها البيروقراطية الإدارية أهميتها وفعاليتها، وتوقف الجيش عن التلاعب بسياستها العامة، وحصل نوع من الوئام والتوازن بين مختلف العناصر، كما تحسن وضع بيت المال إلى حد كبير حتى بلغ مجموع ما في بيت مال الخاصة وحده أكثر من أربعة عشر مليون دينار[١].

وبويع المقتدر بالخلافة، وكان عمره حينئذ ثلاث عشرة سنة، بتدبير من الوزير العباس بن الحسن، وقد شهد عهده المرحلة الأخيرة من مراحل انهيار أسس الخلافة العباسية نتيجة ظروف متعددة منها ضعف المقتدر نفسه ووقوعه تحت تأثير الحرم، وانقسام البيروقراطية على نفسها، وعودة الجيش إلى التدخل في السياسة، وأخيراً حركات القرامطة[٢].

اضطربت أحوال الدولة العباسية في خلافة المقتدر، فخرج عليه مؤنس الخادم أحد القواد في سنة ٣١٧ هـ، وأرغم الخليفة على الهرب. وبايع مؤنس وغيره من الأمراء محمد بن المعتضد بالخلافة ولقبوه بالقاهر بالله. وفي الوقت الذي كانت تقام فيه الاحتفالات بتقليد الخليفة الجديد، طلب الجند أرزاقهم وضجوا بالصياح خارج دار مؤنس بارجاع المقتدر، وحملوا المقتدر على أعناقهم وردوه إلى دار

(١) مسكويه : تجارب الأمم ٥/٢٣٨

(٢) قدم الدكتور عبد العزيز الدوري بحثاً وافياً عن عصر المقتدر انظر
- دراسات في العصور العباسية المتأخرة ١٨٦ - ٢٣٦ -

الخلافة، في حين اختفى القاهر ولم يكن له بعد في رقاب الناس بيعة[1].

أصبح هياج الجند وشغبهم وإحداثهم الفتن أمراً مألوفاً بعد ذلك، حتى بلغت ذروتها في هذه الفترة سنة ٣١٩ هـ ٩٣١ م، حين سيطر مؤنس قائد الجيش على الأمور وتحكم في الإدارة وفي اختيار الوزراء[2]. ولم يمض وقت طويل حتى توترت العلاقات بين المقتدر ومؤنس مجدداً، حين عزل الخليفة الوزير ابن مقلة رغم معارضة مؤنس لذلك. واستمرت ثورات الجند في وقت هدد فيه القرامطة مكة وسلبوا الحجر الأسود، كما هاجموا الكوفة وهددوا بغداد.

بدأ الوزير الجديد الحسين بن قاسم يوهن من قوة مؤنس بضرب الجيش بعضه ببعض، وعمد إلى عزل علي بن عيسى صديق مؤنس من ديوان النظر في المظالم ونفاه خارج بغداد، كما عزل القائد يلبق. كل هذه الأمور حملت مؤنساً، وقد استشعر الخطر، على أن يطلب من الخليفة عزل الوزير الحسين بن قاسم دون جدوى. عندئذٍ خرج مؤنس عن طاعة الخليفة، وسار بجيشه إلى الموصل في محرم سنة ٥٢٠ هـ / كانون الثاني ٩٣١ م[3].

وكان ترك مؤنس لبغداد نصراً كبيراً للمقتدر، لكن هذا النصر لم

---

(١) تجارب الأمم ٥/١٩٦ ـ ١٩٩، المنتظم ٦/٦٩. الكامل في التاريخ ٨/٦٩

(٢) عريب القرطبي: صلة تاريخ الطبري ١٥٦، حمزة الأصفهاني: تاريخ ١٣٥، ١٣٦

(٣) مسكويه: تجارب الأمم ٥/٢٣٣ ـ ٢٣٥، عريب القرطبي: صلة تاريخ الطبري ١٦٥ ـ ١٦٧.

يدم طويلاً، لأن مؤنس تمركز في الموصل، وأخذ يجمع حوله الأنصار استعداداً للجولة المقبلة . . .

استطاع مؤنس أن يقطع الميره عن بغداد، كما وأن القرامطة قطعوا عنها الميرة القادمة من الشام. وأصبحت الخزينة المركزية فارغة. وهذا يعني قلة الأنصار وهرب الجند أو شغبهم. وحين حاصر جيش مؤنس بغداد، حشد المقتدر قواته، ودارت حرب بين الطرفين في شوال سنة ٣٢٠ هـ /كانون الأول ٩٣٢ م، كانت حصيلتها مقتل المقتدر وبدء مرحلة جديدة عرفت اصطلاحاً بفترة إمرة الأمراء(١).

أصبح مؤنس مسؤولاً، بعد مقتل المقتدر، عن حفظ النظام في العاصمة، وعن اختيار من يخلف المقتدر في منصب الخلافة. وقد وقع الاختيار على القاهر، فبايعه مؤنس وجماعته بعد أن توثقوا منه بالأيمان والعهود(٢) دون أن يكون مرتاحاً لهذا الاختيار، وبخاصة بعد أن عجز القاهر بسبب ضيق يده عن تنفيذ ما اشترط مؤنس عليه بمنح أرزاق البيعة للجند كما هي العادة(٣). كما أسندت الوزارة إلى أبي علي بن مقلة بتأييد من الجيش. وقد اتبع ابن مقلة سياسة المصادرة على نطاق واسع في محاولة منه لجمع الأموال إرضاء للجيش، وبالتالي المحافظة على مركزه(٤).

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ٢٩٢/٤ - ٣٠٦ ، مسكويه : تجارب الأمم ٢٤١/٥ ابن الجوزي: المنتظم ٢٤١/١٦ - ٢٤٣ الدوري : دراسات ٢١٨ .

(٢) مروج الذهب ٣١٢/٤ ، تاريخ بغداد ٣٤/١ ، تجارب الأمم ٢٤٢/٥ ، المنتظم ٣٤١/٦

(٣) تجارب الأمم ٢٤٣/٥ - ٢٤٤ ، عريب القرطبي ص ١٨٢ .

(٤) تجارب الأمم ٢٤٦/٥ ، ٢٥٣ عريب القرطبي ١٨٥ .

وعندما حاول القاهر إعادة هيبة الخلافة وهيمنتها، وتركيز السلطة في يد الخليفة وإبعاد الجيش عن مجال التحكم والسيطرة، محاولاً الإفادة من الخصومة الداخلية بين قادة الجيش، ساءت العلاقة بينه وبين الزمرة المحيطة به. وفي جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ / ٢٤ نيسان ٩٣٤، أحاط الجند بدار الخلافة وأسروا الخليفة القاهر وأعلنوا خلعه، ثم سملت عيناه وأودع السجن (١) وأطلقوا سراح أبي العباس بن المقتدر وسلموا عليه بالخلافة (٢)، فاختار لنفسه لقب الراضي بالله (٣).

كان الراضي بالله آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وكانت نفقاته وجراياته وخزائنه وجوائزه وعطاياه ومجالسه وخدمه وحجابه يجري ترتيبها على ترتيب الخلفاء المتقدمين (٤). وقد استوزر الراضي ابن مقلة الذي تمكن من إغراء رؤساء الجند بالأموال وتعهد بدفع نصف مليون دينار عطايا للبيعة (٥).

وفي هذه الفترة استقل البويهيون في فارس، والبريديون في خوزستان، كما ارتفعت أهمية ابن رائق فأسند إليه الوزير قيادة الجيش

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ٣١٢/٤، تاريخ بغداد ٣٤٠/١ العولي: أخبار الراضي والمتقي ١.
(٢) تجارب الأمم ٢٩٠/٥، النجوم الزاهرة ٢٤٥/٣.
(٣) الصولي: أخبار الراضي والمتقي ص ١ المنتظم ٢٦٦/٦.
(٤) تجارب الأمم ٢٩٠/٥.
(٥) تاريخ بغداد ١٤٣/٢

والشرطة بواسط [1]. وأقدم الحسين بن أبي الهيجاء على قتل عمّه سعيد والي الخليفة على الموصل، وتمكن من إرشاء ابن مقلة الوزير الذي قاد جيش الخلافة إلى الموصل، ونجح في الحصول على تولية له من الخليفة [2].

لقد اشتدت الأزمة المالية نتيجة سوء الإدارة والتدبير، وفشل الوزير ابن مقلة في الحصول على قروض من التجار، وازدادت الأوضاع سوءاً من جراء تكاليف الحملة العسكرية إلى الموصل، وقطع أموال البصرة وواسط من قبل ابن رائق الذي كان يطمع في تنحية ابن مقلة ليحل محله.

عُزل ابن مقلة سنة ٣٢٤ هـ /٩٣٦م، ورفض علي بن عيسى استلام الوزارة، واقترح أن يستوزر أخوه عبد الرحمن، على أن يقوم هو بمعاونته [3]. غير أن الأزمة المالية أدت إلى انهيار تام في وضعية الخزينة، إذ إن نفقات الامبراطورية لم تنقص في الوقت الذي انحصرت فيه سلطة الخليفة على بغداد وما جاورها، وأصبح من المستحيل موازنة الدخل والصرف وعندما طلب عبد الرحمن بن عيسى قرضاً من الخليفة في محاولة يائسة لإصلاح الوضع، غضب الخليفة، وأمر بسجنه مع أخيه علي وتمت مصادرتهما [4].

---

(١) المنتظم ٦/٢٩٦ ، ٣٠٠

(٢) تجارب الأمم ٥/٢٢٣ ـ ٢٢٧ و٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

(٣) تجارب الأمم ٥/٣٢٠ ، ٣٢٩ ـ ٣٣٢ ، ٣٣٦ ـ ٣٣٧ الدوري : دراسات ص ٢٣٥

(٤) أخبار الراضي والمتقي ٨٣ ، مسكويه ٥/٣٣٨ ، البداية والنهاية ١١/١٨٤ ، النجوم الزاهرة ٢٥٨

وبعد توزير الكرخي فسليمان بن الحسن على التوالي دون أن يؤثر ذلك على اتجاه إدارة الدولة وأحوالها المالية نحو التردي وازدياد احتمال شغب الجند بسبب تأخير أرزاقهم، اضطر الخليفة الراضي إلى أن يراسل ابن رائق ويقلده «الإمارة ورياسة الجيش وجعله أمير الأمراء، وردّ إليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون في جميع النواحي، وفوّض إليه تدبير المملكة، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر في الممالك، وأن يكنّى، وأنفذ إليه الخلع واللواء...»(١).

وكان من النتائج المترتبة على تصرف الراضي هذا أن «بطل أمر الوزارة» فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي، ولا الدواوين، ولا الأعمال، ولا مكان له غير اسم الوزارة»(٢).

وصار بيد ابن رائق رئاسة الجيش وامتدت سيطرته بصورة مباشرة. إلى جباية الضرائب وإدارة الحكومة المركزية، وغدا اسمه يذكر مع الخليفة في خطبة الجمعة على المنابر. ويلاحظ أنه قد استمرت حالة الوزير على هذا الوضع حتى وفاة الراضي(٣). ويبدو أن نفوذ أمير الأمراء في آخر عهد الراضي قد ازداد، بحيث أنه طغى على شخصية الخليفة، وسلب منه أخطر اختصاصاته، وحتى ولاية العهد، فإن الراضي قد اعترف ضمناً بأنها خاضعة لأمير الأمراء، إذ إنه لما مرض وأحس بقرب أجله أرسل إلى أمير الأمراء بجكم وهو بواسط رسالة

---

(١) تجارب الأمم ٥/٣٥١

(٢) تجارب الأمم ٥/٣٥٢ الكامل في التابخ ٨/١١٣

(٣) أخبار الراضي ١٨٣ الدوري : دراسات ٢٣٦

يعرفه شدة علّته، ويسأله أن يعقد ولاية العهد لابنه الأصغر أبي الفضل [1] . وقد أهمل بجكم طلب الراضي وأحضر إبراهيم بن المقتدر إلى دار بجكم حيث عقد له الأمر وحمل من هناك إلى دار الخلافة ، حيث تلقب بـ «المتقي لله»، وبايعه الناس، «وأنفذ الخلعة واللواء إلى بجكم» [2] .

وأخيراً ظهرت على مسرح سياسة الدولة العباسية شخصية أمير الأمراء توزون، الذي استطاع أن ينفرد بالسيطرة على مرافق الدولة، فأخذ يصرف الأمور من مقره بواسط [3] . وقد هرب المتقي لله إلى الموصل على أثر اصطدامه بأمير الأمراء توزون، بعد محاولة منه لاسترداد بعض اختصاصاته. وقد رحّبَ به الحمدانيون بادىء الأمر، غير أن طول إقامته عندهم . أدّت إلى تثاقلهم منه، فغادرهم إلى الرقه حيث وافاه أمير مصر الذي عرض عليه الانتقال إلى مصر، وتحويل مقر الخلافة إليها، وحذّره من توزون وغدره. ولكن الخليفة فضّل التوجه إلى بغداد بعد أن اتفق مع توزون على شروط الصلح . غير أنه قبض عليه وأعلن خلعه ثم سمل عينيه، وأحضر عبد اللّه بن المكتفي حيث بويع له بأمر من توزون، ولقّب المستكفي بالله [4] .

---

(١) المنتظم ٦/٣١٦ .

(٢) أخبار الراضي والمتقي ١٩١ ، تجارب الأمم ٦/٢ .

(٣) يذكر ابن الجوزي بأن توزون كان رئيس الجيش وأمير الأمراء وأنه تقلّد شرطة بغداد انظر المنتظم ٦/٣٣٩.

(٤) مروج الذهب ٤/٣٣٩ ، المنتظم ٦/٣٣٩ الفخري ص ٢٨٤ .

ويبدو أن المستكفي كان ضعيفاً، فقد خلع على أمير الأمراء توزون وفوّض إليه تصريف شؤون الدولة، وسيطرت القهرمانة عَلَم على شؤونه الخاصة، وهكذا لم يكن للمستكفي منذ بداية خلافته حول ولا قوة، إنما كان رمزاً لوحدة الدولة وظلاً يحكم عن طريقه أمير الأمراء. بعد وفاة توزون أمير الأمراء تآمر عامل واسط مع أحمد بن بويه للتقدم إلى العاصمة واحتلالها حيث كانت تشكو الفوضى وسوء الإدارة والأزمة المالية. وفي ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ هـ /كانون الثاني ٩٤٦ م (١) تمّ استيلاء آل بويه على بغداد بوصول أبي الحسين أحمد بن بويه إليها، واجتمع بالخليفة العباسي المستكفي، وبايعه، وحلف له المستكفي وخلع عليه، ولقبه في ذلك اليوم بمعز الدولة، وأمر أن تضرب ألقاب بني بويه وكناهم على الدنانير والدراهم. ونزل معز الدولة بدار مؤنس، وأنزل أصحابه في دور الناس، فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة، وصار رسماً عليهم بعد ذلك، وهو أول من فعله ببغداد، ولم يعرف بها قبله.

وباستيلاء آل بويه على بغداد، زال ما كان باقياً من النفوذ للخليفة العباسي في الدولة الإسلامية، وأصبحوا من ذلك اليوم أصحاب السيطرة والسلطان في أمور الدولة، واستمروا أسياداً على بغداد والعراق نحو قرن من الزمن، وتمكنوا في أثنائه من القضاء على سلطان الأتراك ونفوذهم، وطردوا بني حمدان من الموصل وحكموا الجزيرة والعراق العربي وغربي بلاد العجم حكماً فعلياً، وكان معز الدولة متشيّعاً ويعتقد أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من

---

(١) تجارب الامم ٦/ ٨٤ ـ ٨٥ .

مستحقيها لذا لم يكن لدى البويهيين باعث ديني يحثهم على الطاعة، حتى إن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين والبيعة لأحد العلويين، فكلهم أشار عليه بذلك ما عدا بعض خواصهم، فإنه قال: ليس هذا برأي، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من يعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه، فأعرض عن ذلك متبعاً نصيحة الناصحين وأبقى الخلافة للعباسيين وانفرد هو بالسلطان [1].

كانت صورة الحياة الاجتماعية والأدبية مغايرة لصورة الواقع السياسي القائمة، ويعتبر كتاب الأغاني شاهداً على ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية، والنهضة العلمية والأدبية في عهد الدولة الأموية والدولة العباسية من ازدهار تمثل بنشر العلوم والفنون والأدب، ورواج سوق الأدب، وكثرة الشعراء والمفكرين والمغنين، وظلت كذلك حتى عصر بني بويه الذي عاش فيه أبو الفرج الأصفهاني ونال فيه الحظوة والرعاية من الملوك والوزراء والأمراء حيث تمتع بمنزلة رفيعة عند معز الدولة البويهي بعد استيلائه على بغداد، وانقطع إلى وزيره المهلبي وأصبح من أخص ندمائه المقربين إليه، الأثيرين لديه.

وإذا كان الترف والنعيم قد بلغا أقصاهما في أواسط الدولتين الأموية والعباسية، فلا شك أن الحالة في عصر أبي الفرج كانت

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٤٩/٧ عبد العزيز الدوري: دراسات ص ٢٤٨.

أكثر مما يوصف. ومن يقرأ تاريخ حياة المهلبي الذي انقطع إليه أبو الفرج يتأكد مما كان فيه من ترف ونعيم وأبّهة وفخامة، ذلك الترف الذي وصفه ياقوت الحموي بقوله: «وكان من ظرفه في فعله، ونظافته في مأكله أنه إذا أراد أكل شيء بملعقة كالأرز واللبن وأمثالهما. وقف من جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجاً مجروداً ـ وكان يستعمله كثيراً ـ فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون مرة واحدة، ثم يدفعها إلى غلام آخر قام من الجانب الأيسر، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الأولى حتى ينال الكفاية لئلا يعيد الملعقة إلى فيه دفعة ثانية»[1].

وقد وصف هذا الترف أيضاً القاضي التنوخي بقوله: «وشاهدنا نحن أبا محمد المهلبي في وزارته وقد اشترى في ثلاثة أيام متتابعة ورداً بألف دينار، فطرحت في بركة عظيمة كانت له في دار كبيرة تعرف بدار البركة وشرب، كان في البركة فوارة حسنة فطرح الورد فيها وفرشه في مجالسه».

وكانت للوزير المهلبي مجالس مختلفة، للفقهاء يوماً، وللقضاة يوماً، وللمتكلمين يوماً، وهذه المجالس لم تكن تخلو من الشراب والغناء إلى جانب ما كان يجري فيها من مذاكرة بالأدب وضروب الحديث عن العلوم والفنون. وقد دوّن الكثير من هذه المجالس في عصر الوزير المهلبي وغيره من الوزراء والخلفاء أبو حيّان التوحيدي في كتبه: المجالس والمقابسات، والأمتاع والمؤانسة. ولم تكن هذه الأندية تجتمع في أماكن معينة، أو منازل معروفة، وإنما كانت تجتمع حيث

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ١٠٠ ـ ١٠٥.

يتاح لها الاجتماع، كانت تنتقل بأدبها وعلمها، وبجدّها وهزلها بين مدن العراق المختلفة، وبين ما كان في هذه المدن وضواحيها من الحدائق والبساتين، ومن الأديرة والحانات، وكانت تجتمع بشكل خاص في قصور الخلفاء والوزراء والقادة وكبار رجال الدولة [1]. هذا الشأو العظيم الذي بلغته الحياة العلمية والأدبية في عصر أبي الفرج ظهر أثره فيمن نبغ من العلماء وأئمة الأدب العربي.

فعصر أبي الفرج هو العصر الذي بلغت فيه الحضارة الإسلامية درجة كبيرة في مضمار التقدم والازدهار في شتى ميادين المعرفة. وهذا التقدم الحضاري هو نتاج تفاعل عدة عوامل:

العامل الأول: طبيعة الدين الإسلامي: إن الإسلام كرّم العلم ودعا المسلمين إلى الاستزادة وإن قصة أسرى بدر واشتراط تعليم أطفال المسلمين نظير فك رقابهم خير دليل على ما للعلم من أهمية في نظر الإسلام. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وجهت الأمة الإسلامية إلى العلم كثيرة مستفيضة كقوله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾. وكقول الرسول ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء».

وكانت نتيجة ذلك كله أن اندفع المسلمون إلى البحث في جميع نواحي الحياة، روحية، أم عقلية أو مادية. ونشأ عن ذلك كله الحضارة الإسلامية التي وصلت إلى القمة في القرن الرابع الهجري.

---

(١) طه حسين: حديث الأربعاء ١/ ٤٠ - ٤١.

العامل الثاني: تشجيع الخلفاء للعلم والعلماء: اتسعت الدولة الإسلامية في العهد الأموي اتساعاً عظيماً، فوصلت إلى حدود الصين شرقاً وإلى الأندلس غرباً، واتصل العرب بشعوب كثيرة وتعرفوا على ما عند تلك الشعوب من معارف وعلوم. وإذا كان خلفاء هذا العهد قد انشغلوا بالحروب والفتوحات عن العلم، إلا أن ذلك العهد لم يخل ممن تعهد العلم ورعاه. فخالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الملقب بحكيم بني أمية وعالم قريش قد قام بترجمة الكتب اليونانية في مختلف العلوم [1]، وكان أول من عمل على جمع الكتب الأجنبية ووضعها في خزانة. والأرجح أنها كانت في دمشق. كما أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان قد أمر بنقل كتاب أهرن بن أعين في الطب إلى العربية.

ثم جاء العصر العباسي، وكان الذروة التي وصل إليها العرب في العلم، إذ كان الخلفاء ينفقون عن سعة على ترجمة الكتب ولا سيما المنصور والرشيد والمأمون. بل إن أفراداً منهم مثل أولاد موسى بن شاكر كانوا ينفقون من مالهم الخاص على ترجمة الكتب [2]. وقد أنشئت خزانة الحكمة أو بيت الحكمة في عهد هارون الرشيد سنة (١٧٠هـ /٧٨٦ هـ - ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) وهي أشبه بأكاديمية للترجمة ملحقة بها مكتبتها الخاصة. ثم جاء المأمون (١٩٨ - ٢١٨ / ٨١٣ - ٨٢٣ م) وأضفى على هذه المؤسسة طابعاً

---

(١) ابن النديم، الفهرست ٢٤٢، محمد كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ١/١٦٥ حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي ١/٤٧١.

(٢) محمد كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ١/١٦٨.

رسمياً حينما أمدّها بهيئة علمية خاصة وبعث من أجلها البعوث إلى بيزنطة لجلب المخطوطات اليونانية [١].

ولم تلبث بغداد أن أضحت مركزاً لحركة الترجمة ومناراً للعلم، وشارك في هذا الجهد جميع الطوائف الدينية من مختلف أصقاع الخلافة. ويعود السبب في ذلك إلى التسامح العباسي الحميد الأثر، الذي أدى إلى تفتح الأذهان والازدهار الحضاري.

ومما لا شك فيه أن تشجيع الخلفاء للعلم والتسامح الذي أبداه الحكام العباسيون تجاه الشعوب الخاضعة لحكمهم كان له أكبر الأثر في دخول العلم نوابغ تلك الشعوب، مما ساعد على التسريع في عملية البناء والتقدم الحضاري.

وثمة عامل آخر كان له القدح المعلى في نشر العلم والتعليم هو استعمال الورق. فمما لا شك فيه أن حركة العلم وتدوينه في العصر العباسي ما كانت لتصل إلى ذلك القدر من الرقي لو ظلّت أدوات الكتابة على حالتها الأولى من البساطة أو الندرة [٢].

فالتعليم إذاً مدين لصناعة الورق الذي كثرت به الكتب والمكاتب وخزائنها، وأصبحت مصدراً عظيماً للثقافة، فساعدت المتعلمين على ارتشاف مناهل العلم، وربما كان تأثير استعمال الورق في النهضة

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٢٤٣.

(٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام ٢ / ٢١ وما يليها.

العلمية في الإسلام مثل تأثير فن الطباعة في النهضة الأوروبية في أواخر العصور الوسطى (١).

العامل الثالث: المركز الاجتماعي الرفيع للعلماء: مما لا شك فيه أن الإنسان وليد مجتمعه وأسير عاداته وتقاليده، وكل فرد فيه يسايره ويعمل على إرضائه والحصول على تقديره. وإذا كانت مقاييس المجتمع في التقدير متباينة نرى أن أفراده يسلكون السلوك المتباين الذي يوصلهم إلى ذلك التقدير الاجتماعي. فمنهم من يسعى إلى المال ليتخذه وسيلة لإرضاء المجتمع، والبعض يسعى إلى المناصب الحكومية، والبعض الآخر يسلك طريق العلم. ويجد الجميع العمل كلٌ في الطريق الذي سلكه من أجل تحقيق هدفه ومهما يكن فالمركز الاجتماعي للعلماء كان من الأسباب المحركة لطموحات نوابغ المجتمع.

فالخلفاء العباسيون كانوا يقربون العلماء ويغدقون عليهم العطايا، ويرغبّون العلماء والأدباء بالبذل والكرم بقطع النظر عن مللهم أو نحلهم أو أنسابهم، وكان لاتساع رقعة الدولة العباسية، ووفرة ثروتها، ورواج تجارتها أثر في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل حتى لقد بدا أن الناس جميعاً، من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأناً قد غدوا فجأة طلاباً للعلم أو على الأقل أنصاراً للأدب. وأصبحوا يجوبون الأقطار كافة سعياً وراء موارد العلم والعرفان ثم يعودون إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهفين، ثم

(١) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي ٢ / ٢٤٠.

يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد ستصل هذه المصنّفات التي هي أشبه بدوائر المعارف.

فالتقدير الاجتماعي للعلماء إذ كان من المحفزات المهمة لأبناء المجتمع لكي يقبلوا على العلم والأدب. وأبو الفرج الأصبهاني وقد عاش في هذا المحيط الاجتماعي لا بدّ وأن يتأثر فيه. وما التقدير الذي لقيه عند بني بويه إلا نتيجة لشهرته الأدبية. إضافة إلى ما يضفي العلم والأدب على صاحبه من مركز اجتماعي فإنه مدار رزق طيب للعلماء. وليس أدل على ذلك من أن سيف الدولة صاحب حلب عندما أهداه أبو الفرج كتاب الأغاني أعطاه ألف دينار واعتذر إليه، مما سمح له أن يحيا حياة معاشية مرتفعة.

الفصـــل الثـــاني
سيرة حياة أبي الفرج الأصفهاني

١ ـ اسمه ونسبه ومولده :

هـو أبو الفـرج علي بن الحسـين بن محمد بـن أحمـد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية[١] . ولد سنة ٢٨٤ هـ في خلافة المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق ، وهي السنة التي توفي فيها البحتري الشاعر . وقد نص على سنة ولادته تلميذه محمد بن أبي الفوارس ، دون أن يعترض عليه أحد من القدماء في ذلك ، وإن كانوا جميعاً قد أغفلوا ذكر مكان ولادته ، واكتفوا من ذلك بالاشارة إلى أصله الأصفهاني[٢] ، وقالوا أنه بغدادي المنشأ والمسكن[٣] . دون أن يعني ذلك أنه أصفهاني المولد كـما أكد

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ١٠٧ وسائر تراجمه التي سيرد ذكرها .

(٢) أبو نعيم الاصفهاني: ذكر أخبار أصفهان ٢/٢٢ ، الثعالبي: يتيمة الـدهر ٣/٩٦ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/٣٠٧ وأصفهان بلد معروف من بلاد فارس وهي من اصب: أي بلد، وهان أي فارس. انظر معجم البلدان لياقوت ١/٢٠٦ واثار البلاد للقزويني.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١/٤٠٠ .

معظم المعاصرين[1] . والمرجح أنه ولد ونشأ ببغداد لأننا لا نجد له أو لأحد من أفراد أسرته أثراً في أصفهان .

٢ ـ اسرته :

ويبدو أن أحد أبناء مروان بن محمد من أجداد أبي الفرج قد فرّ ناجياً بنفسه واسرته إلى أصفهان بعد أن دالت دولة بني أمية على أيدي العباسيين وشيعتهم[2]، فتخفّى بين أهلها المعروفين بتعصبهم للسنيّة[3] في ظل لقب مغمور خوفاً من بطش العباسيين ببقايا بني أمية ، وحمل اسم المدينة التي نزل بها ، وما لبث أبناؤه أو أحفاده أن هجروا أصفهان وقصدوا سامراء وبغداد بعد أن هدأت الأحوال واستقرت الأمور ، فعملوا كتاباً وموظفين في دواوين الخلافة ، وحملوا معهم لقب الأصفهاني الذي ارتضوا به بديلاً عن أمويتهم الصريحة .

وكان جده محمد بن أحمد الأصفهاني من كبار رجالات سامراء ، وعلى صلة قوية بعدد من وزارئها وأدبائها وكتابها . وتدل مرويات أبي الفرج عنه ، على صلته الوثيقة بالأدب والشعر ، كما يبدو واضحاً من خلالها أنه قد فارق الحياة ولما يشب أبو الفرج عن الطوق[4]، كما روى أبو الفرج بعض أخباره الأدبية عن أخوي جده عبد العزيز وعبد الله ،

---

(١) احمد أمين : ظهر الإسلام ١ / ٢٣٩ ، سزكين : تاريخ التراث العربي ١ /٦١٢ محمد عبد الجواد الاصمعي : أبو الفرج الأصبهاني ص ١١٧ .

(٢) الأغاني ٤ /٤٤٣ ـ ٤٥٥ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ /١٧٤ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ص ١٠٧ ، ظهر الإسلام ٢ / ٥ .

(٤) الأغاني ١٠ /٦٧ و١٦ / ٣٨٤ ، مقاتل الطالبيين ص ٦٩٨ .

ويبدو أنهما كانا على قيد الحياة إبان طور مهم من أطوار نشأته وتعليمه ، فسمع منهما أخبار عدد من الشعراء المحدثين وغيرهم[١] .

أما أبوه الحسين بن محمد فكان يقطن بغداد ، وقد ألمح أبو الفرج إلى عنايته الشديدة بالأدب العربي وحرصه على نيل الإجازات العلمية من كبار الشيوخ البارزين في عصره ، ويبدو أنه عاش إلى حدود الثلاثمائة للهجرة أو بعدها بقليل كما يدل حديث ابنه عنه[٢] .

وكان عمه الحسن بن محمد «من كبار الكتاب في أيام المتوكل»[٣] أخذ عن كبار شيوخ الأدب ، وروى عنه أبو الفرج كثيراً[٤] . وكان له أكبر الأثر في بناء شخصيته الثقافية ، إذ تولى تثقيفه وتعليمه أصول الأدب والنقد ، كما كانت له رواية عن ابنه أحمد بن الحسن أيضاً[٥] .

وينتسب أبو الفرج من جهة أمه إلى آل ثوابة المعروفين بالكتابة والأدب والشعر في عصرهم ، وقد ذكر ابن النديم عدداً منهم في الفهرست وأورد لهم كتباً كثيرة ورسائل ودواوين[٦] . ويبدو أن جده يحيى بن محمد بن ثوابة كان من هؤلاء المؤلفين والأدباء ، إذ اتخذ أبو الفرج من كتابه في الشعر والشعراء مصدراً أساسياً من مصادر تأليف الأغاني، لهذا أخذ منه الكثير ، وأكّد غير مرة ما يلي : «نسخت من

---

(١) الأغاني ٢/١٩٥ و٤/١٣٢ ، ٢١/٢٧٩ ، ٢٣٠/١٩٩ .
(٢) الأغاني ٣/١١٤ ، ٢٣/٢٢/ ، ٢٤/٥٢
(٣) جمهرة أنساب العرب ١٠٧
(٤) الأغاني ٨/١٧٨ ، ١٠/٥٩ ، ١٣/٢٢٨ ، ١٤/٢٠، ٣٣٢ ومواضع أخرى .
(٥) الأغاني ١٦/٣٩٦ .
(٦) الفهرست ١٩٣ - ١٩٤ و٢٤٤ ، ٢٤٩ .

كتاب جدي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه»[1] وهذا يدل على أنه كان يملكه أو أنه اطلع عليه على الأقل . وعلى أنه كان مخطوطاً بخطوط أخرى ومتداولاً ومعروفاً ، وإن أهمل ابن النديم وغيره ذكره . وتدل مرويات أبي الفرج عن هذا الكتاب أنه يشمل أخبار عدد كبير من الشعراء العرب منذ الجاهلية ، وحتى القرن الثالث للهجرة . وغير بعيد أن يكون الأصفهاني قد تأثر به ونهج سبيله في كتابه الأغاني .

٣ ـ دراسته العلمية وشيوخه :

كانت بيئة أبي الفرج العائلية أول بيئة علمية له ، لكنه لم يقتصر على ما أخذه عن بعض أفرادها من علوم وثقافات ، إذ نجده يقصد الكوفة منذ فترة مبكرة من حياته فيأخذ العلم عن كبار شيوخها من أمثال مطين بن أيوب (ت ٢٩٨ هـ)[2] ومحمد بن جعفر القتات[3] (ت ٣٥٥ هـ) والحسين بن الطيب الشجاعي[4] ومحمد بن الحسين الكندي مؤدبه بالكوفة[5] ، وعلي بن محمد إمام مسجدها[6] وأحمد بن عيسى العجلي[7] وغيرهم ، وتدل مروياته عن هؤلاء

---

(١) الأغاني : ١٦/٣٠٤، ٩/٣٠٣، ١٢/١٣٧، ١٤/١٦٢، ٢٢١
(٢) الفهرست ٣٣٧، لسان الميزان ٤/٢٢١، البداية والنهاية ١١/٢٦٣، شذرات الذهب ٢/٢٢٦ الوافي بالوفيات ٣/٣٤٥، العبر في خبر من غبر ٢/٥٠٥ .
(٣) لسان الميزان ٤/٢٢١ و٥/١٠٦ ميزان الاعتدال ٣/١٢٣ .
(٤) الأغاني ١٤/٣١٩ .
(٥) الأغاني ٢/٢٤ و١٠/٢٥٢ و١٥/٣٥٠ و١٩/٤٧ و٢٠/٢١٠ .
(٦) الأغاني ٧/٢٦ .
(٧) الأغاني ٤/١٤٥ و٢٢٣ ـ ٢٢٨ ، مقاتل الطالبيين ص ١٣١ .

الشيوخ أنه أخذ عنهم الحديث النبوي والتواريخ وشيئاً من علوم اللغة ، قبل أن يعود إلى بغداد في حدود السنة ٣٠٠ للهجرة ، وتبدأ ثقافته الحقيقية فيها ، ثم تستمر بعد ذلك إلى آخر عمره .

وشيوخه في بغداد كثر جداً يصعب حصرهم وتعدادهم ومن أهمهم لديه .

١ ـ أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيي المعروف بابن المنجم النديم (٢٤١ ـ ٣٠٠ هـ) وكان أديباً ناقداً ومتكلماً معتزلياً وعالماً بالغناء والموسيقى ومؤلفاً من كبار المؤلفين في عصره[١] نادم المعتضد والمكتفي من بعده ، أخذ أبو الفرج عنه المائة المختارة وروى عنه إجازة بعض كتبه وأخباره ، وأجازه برواية كتب كثيرة عنه ، وكان لذلك صدى واسعاً في الأغاني [٢] .

ـ أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي (٢٢٨ ـ ٣١٠ هـ) وكان راوية للأخبار والآداب[٣] ، وقد حصّل أبو الفرج عنه علماً كثيراً ، وأشاد بسعة علمه وثقافته . وروى عنه أخبار عدد من الشعراء ، كما أجازه برواية كتاب النقائض لأبي عبيده وغيره [٤] .

ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) «علّامة وقته ، وإمام عصره ، وفقيه زمانه» [٥] . وقد قرأ عليه جميع ما يتصل

---

(١) الفهرست ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٢) الأغاني ٣/٣٢٧ ، ٤/٣١٦ ، ١٤/٣٣١ ، ١٦/٣٧٧ ومواضع أخرى .

(٣) وفيات الأعيان ٤/٣٣٤ ، تاريخ بغداد ٣/١١٣ .

(٤) الأغاني ٨/٤ ، ١١/٣١٠ ، ١٢/٣٤ ، ٢٤/ ١٩٧ وغيرها .

(٥) الفهرست ٣٤ ، معجم الأدباء ١٨/٧٨ ، وفيات الأعيان ١/٦٥١ .

بالسير والتواريخ من أخبار ، وظهر أثره فيه في اول كتبه «مقاتل الطالبيين» إذ نقرأ في مقدمته قوله: «قرأت ذلك على محمد بن جرير الطبري فأقرّ به»[1] . وروى عنه في الأغاني معظم أخبار العرب القديمة ، ومغازي الرسول ، وشعراء الدعوة الاسلامية[2] .

- علي بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥ هـ) وهو من كبار اللغويين والنقاد في عصره «ومن خاصة تلامذة المبرد»[3] فكان طريق أبو الفرج إليه ، وأخذ عنه أخبار عدد من الشعراء كعدي بن زيد ووضاح اليمن وعبد الله بن موسى الهادي وغيرهم ، كما أجازه برواية كتابه «المغتالين» قراءة عليه[4] .

- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) وكان من أعلم الناس في نحو الكوفة وأكثرهم حفظاً للغة ، «لم تعرف له زلة»[5] لدى معاصريه . وقد روى عنه أخباراً كثيرة مما أجازه بروايتها عنه[6] .

- أبو بكر محمد بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) : وكان يقال ابن دريد أشهر العلماء وأعلم الشعراء .له مؤلفات كثيرة أهمها كتاب الجمهرة ، الاشتقاق وغير ذلك . ورد بغداد من البصرة بعد أن أسن ، وروى عنه

---

(١) مقاتل الطالبيين ١٠.

(٢) الأغاني ٤/١٢٨، ١٥٧، ١٧٠، ٩/١٤٢، ١٥/٤، ٣٢٤ ومواضع أخرى.

(٣) الفهرست ١٢٩ ، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢/١٢٩

(٤) الأغاني ٢/٩٥، ٩/١٩٧ .

(٥) الفهرست ١١٨ ، معجم الأدباء ١٨/٣٠٨ .

(٦) الأغاني ٤/٥٧، ١٣/٤٥ ، ١٩/٩٧ ومواضع أخرى

خلق منهم أبو سعيد السيرافي وأبو عبيد الله المرزباني وأبو الفرج الأصفهاني، وروى عنه معظم ما تحمله من أخبار أبي حاتم السجستاني والرياشي والتوزي عن أبي عبيدة والأصمعي وطبقتهم، كما أجازه برواية كتاب النسب لابن الكلبي وغيره [1] .

- أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ) صاحب «أخبار أبي تمام» و«الأوراق» و«أدب الكاتب» وغيرها . وقد روى عنه أخبار عدد كبير منهم ، وكان له أثر ظاهر في شخصيته الثقافية [2] .

ومن شيوخ أبي الفرج الكثير ممّن كان لهم مقام من العلم وموضع فيه جعفر بن قدامة الناقد (ت ٣١٩ هـ) [3] وقدامة بن جعفر (ت ٣٣٦ هـ) [4] الناقد المعروف وجحظة البرمكي (٢٢٤ هـ) [5] الشاعر ونديم ابن المعتز ، محمد بن خلف المرزبان (٣٠٩ هـ) [6] وابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي المعروف بنفطويه (٣٢٣ هـ) تلميذ ثعلب والمبرد [7] وغيرهم كثير من الرواة والأدباء والنقاد والمحدثين من شيوخه الذين أخذ عنهم سماعاً وقراءة وإجازة ألواناً مختلفة من

---

(١) الأغاني ٢/١٥٨ وما بعدها، ٤/٣٠٢، ١١/٢١٠ ومواضع أخرى.
(٢) الفهرست ٢٢١ ، وفيات الأعيان ٤/٣٥٦.
(٣) تاريخ بغداد ٧/٢٠٥ ، الأغاني ٢٣/١٢٦.
(٤) ابن رشيق : العمدة ٢/٦.
(٥) الفهرست ٢١٤ - ٢١٥ ، معجم الأدباء ٢/٢٤١ - ٢٨٥ ولأبي الفرج كتاب في أخباره ولهما أشعار متبادلة.
(٦) الفهرست ٢١٩/ ٢٢٠، الأغاني ١/٣٠
(٧) الفهرست ٨١، الإعلان بالتوبيخ ١٥٣.

الثقافات والعلوم التي ظهر أثر تنوعها في كتبه المختلفة وآثاره، فكان بذلك موضع دهشة القدماء واستغرابهم. فقال القفطي «وروى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم»[1] . وقال ابن حجر «وكتب ما لا يوصف كثرة حتى لقد اتهم، والظاهر أنه صدوق»[2] .

وقد كانت بداية مرحلة الطلب والتحمل لديه «في حدود الثلاثمائة» كما ذكر ابن حجر اعتماداً على ما لاحظه من وفيات أقدم شيوخه ، دون أن تكون لهذه المرحلة نهاية محددة ، إذ استمرت طوال حياته ، فكان عالماً ومتعلماً ، وطالباً وشيخاً من كبار الشيوخ في عصره ، يقصده طلاب العلم من كل حدب وصوب .

٤ ـ تلاميذه:

جلس أبو الفرج مجلس الشيخ منذ وقت مبكر من حياته يعود إلى حدود سنة ٣١٣ هـ ، وهي السنة التي انتهى فيها من تأليف أول كتبه «مقاتل الطالبيين»[3] ثم جلس لإقرائه وإملائه على تلاميذه الكثر، وجلهم من المشاهير الذين يشار إليهم بالبنان ، ومن قادة الفكر الذين يضرب بهم الأمثال . وصارت لمجالسه شهرة واسعة فقصده عدد من كبار المحدثين والأدباء والشعراء وغيرهم وأخذوا عنه الحديث النبوي الشريف والأدب والشعر والأخبار ،وأجازهم برواية كتبه وأخباره .ومن كبار تلامذته:

---

(١) القفطي : أنباء الرواة ٢ /٢٥١.

(٢) لسان الميزان ٤ /٢٢١

(٣) مقاتل الطالبيين ٤ و٧٢١.

ـ الدارقطني : وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني (٣٠٦ ـ ٣٨٥ هـ) نسبة إلى دار القطن وكانت محلة كبيرة ببغداد ، وكان عالماً حافظاً فقيهاً [1] روى عن أبي الفرج الحديث وغرائب مالك.

ـ محمد بن أبي الفوارس (٣٣٨ ـ ٤١٢ هـ) الحافظ الشهير [2] والأخباري المعروف

ـ علي بن أحمد الرزاز (٣٣٥ ـ ٤١٩ هـ) [3]

ـ إبراهيم بن مخلد الباقرجي (٣٢٥ ـ ٤١٠ هـ) الفقيه الشاعر، والمحدث الأديب [4]

ـ أبو اسحق الطبري ابراهيم بن أحمد بن محمد وقد نقل إلينا هو وعبد الله الفارسي النسخة التي وصلت إلينا من مقاتل الطالبيين إجازة عنه [5] .

ـ أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ الأندلسي (٣٧٦ هـ بقرطبة) وقد ذكر الأندلسيون انه رحل إلى المشرق سنة ٣٤٩ هـ مع ابنه محمد، فسمعا في مصر والبصرة وبغداد، ولازم أبو زكريا أبا الفرج مدة

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٣٤، الإعلام ٤/ ٣١٤، لسان الميزان ٤/ ٢٢٢، وفيات الأعيان ١/ ٢٩٧.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٨، الوافي بالوفيات ٢/ ٦١، شذرات الذهب ٣/ ١٦٣.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣٠، لسان الميزان ٤/ ١٩٦، شذرات الذهب ٣/ ٢١٣.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٨، ٦/ ١٨٩ ـ ١٩١.

(٥) مقاتل الطالبيين ٣.

قبل أن يعود إلى الأندلس، ليكون من أسباب شهرة أبي الفرج فيها [١] .

- علي بن دينار (٣٢٣ - ٤٠٩ هـ) الأديب والشاعر الذي شارك المتنبي في أكثر ممدوحيه كسيف الدولة وابن العميد . وحمل الناس عنه الأدب وأكثروا ، ومن جملة ما حملوه ء ـه كتاب الأغاني الذي اجازه أبو الفرج بروايته عنه، وكان يباهي بذلك ويقول: قرأت على أبي الفرج الأصبهاني جميع كتاب الأغاني. [٢]

- محمد بن أحمد المغربي: وهو راوية المتنبي، خدم سيف الدولة، ولقي المتنبي، كما جالس الصاحب بن عباد. لقي أبا الفرج وروى عنه وكانت له معه اخبار [٣]

- محمد بن الحسن الحاتمي (٣٨٨ هـ) صاحب «الرسالة الموضحة» وغيرها. وقد روى فيها عن أبي الفرج فأكثر. وقرأ علي بن ابراهيم ابن محمد الذهلي كتاب الأغاني عليه، وأجازه بروايته عنه، فوقعت هذه الإجازة متصلة إلى ياقوت الحموي كما ذكر في معجمه. [٤]

- أبو علي المحسن بن علي محمد التنوخي (٣٢٧ - ٣٨٤ هـ) قرأ على أبي الفرج معظم كتبه وأكثر النقل من الأغاني بإجازة عن أبي الفرج وقراءة عليه، إذ كان من رواد مجلسه [٥]

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ١٢٩، بغية الملتمس ٥٠٧ - ٥٠٨، نفح الطيب ٢/ ٥١.

(٢) معجم الأدباء ١٤/ ٢٤٨.

(٣) معجم الأدباء ١٧/ ١٢٧، ١٢٨، الوافي بالوفيات ٢/ ٦٨.

(٤) معجم الأدباء ١٢/ ٢١٦ - ٢١٨

(٥) معجم الأدباء ١١/ ١٢٩، الفرج بعد الشدة ١/ ٣٥٠، ٣٥٣ و٤/ ٣٩٤ ومواضع اخرى.

٥ ـ علاقاته بالخلفاء والملوك والأمراء والوزراء:

لم تقتصر علاقة أبي الفرج الأصبهاني على شيوخه، وإنما تجاوزتهم إلى غيرهم من أصحابه ومعاصريه من الأدباء والوزراء والكتاب، وعلى رأسهم الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي (٢٩١ ـ ٣٥٢ هـ) وزير معز الدولة البويهي وأحد الشعراء والكتاب في عصره. وقد كان له مجلس مشهور ضمّ إليه فيه عدداً كبيراً من العلماء والأدباء والشعراء، فقصده المتنبي حين ورد بغداد، وكان أبو الفرج الأصبهاني رأس هذا المجلس على الدوام، إذ «كانت صحبته له قبل الوزارة وبعدها إلى ان فرّق الموت بينهما»[١]. وحين تولى المهلبي الوزارة سنة ٣٣٩ هـ «اختاره في كل شيء مريح»[٢] وصار نديمه ومسامره، ورأس مجلسه «فكان منقطعاً إليه، كثير المدح له، مختصاً به»[٣]. وكان من ثمرة هذه العلاقة آثار كثيرة في مؤلفات أبي الفرج.

ومن أصحابه وزملائه في هذا المجلس أبو القاسم التنوخي علي ابن محمد (٣٤٢ هـ) وكان من أعيان أهل العلم والأدب، وافر الكرم وحسن الشيم، وكان يتقلد القضاء. ولأبي الفرج أبيات فيه تدل على مبلغ تقديره له وإكباره اياه[٤]. كما كان أبو إسحق

---

(١) معجم الأدباء ١٢/ ٢١٦ ـ ٢١٨، ترجمته فيه ٩/ ١١٨، يتيمة الدهر ٢/ ٤٣، الوفيات ١/ ٣٥٤.

(٢) معجم الأدباء ١٣/ ١٠٥.

(٣) يتيمة الدهر ٣/ ٩٦.

(٤) يتيمة الدهر ٢/ ٣٣٥، تاريخ بغداد ٢/ ٧٧ ـ ٧٨، معجم الأدباء ١٤/ ١٦٢ ـ ١٧٧

الصابي ابراهيم بن هلال (٣٨٤ هـ) من كتّاب المهلبي، وزملاء أبي الفرج في ندوته، ومن جملة أصحابه الذين يقصدونه في داره، كأبي علي الأنباري الأديب، وأبي العلاء صاعد خليفة المهلبي[١]. ويبدو أن صلته بأبي سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ) القاضي والأديب قد ساءت في بعض الأوقات فوجدناه يهجو بالبيتين التاليين وفيها يعرض بعلمه ونحوه[٢]

لست صدراً ولا قرأت على صد ر ولا علمك البكى بكاف
لعن الله كل شعر ونحو وعروض يجيء من سيراف

كما نجد له هجاء مقذعاً في القاضي الأبذجي إذ التمس منه عصا يتوكأ عليها في يوم ماطر فحبسها عنه، فهجاه بأبيات من شعره[٣]. ولسنا نعرف سبباً لخلافه مع علي بن هرون المنجم (٣٥٢ هـ) وابنه هرون. وقد كان من آثار هذا الخلاف ثلاثة كتب، منها كتابان لأبي الفرج هما «الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار» و«صفة هرون» فيما ألف علي كتاباً في الرد عنيه اسماه «اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط»[٤]

والتقى أبو الفرج بالمتنبي (٣٥٤ هـ) في مجلس الوزير المهلبي، وكانت له معه مساجلة مذكورة، نجده بعدها يتردد على مجلسه الذي كان يعقده في بغداد أثناء مقامه فيها.

---

(١) معجم الأدباء ٢/٩٢، الفهرست ١٩٩ ـ ٢٠٠ يتيمة الدهر ٢/٢٤١.
(٢) يتيمة الدهر ٣/١٠٠ الفهرست ٩٩، ظهر الإسلام ١/٢٤٢.
(٣) يتيمة الدهر ٢/١٣، معجم الأدباء ١٣/١٣٤.
(٤) الفهرست ١٧٣، ٢١٣

كما كان أبو الفرج يتردد على مجلس أبي بكر محمد حسن المقسم «أحد القراء بمدينة السلام». وكان عالماً باللغة والشعر، وتوفي سنة ٣٦٢ هـ. وذكرت له عدة كتب وتآليف في فنون مختلفة. وكان لأبي الفرج نفسه مجلس يرتاده أصحابه من الأدباء والكتاب، ويقرأ عليه تلامذته كما كانوا يقرأون[1].

وربما وجدنا أبا الفرج في دكاكين الوراقين وأسواقهم مع بعض اصحابه من الأدباء، إذ كانت لهم منتدى ومنتجعاً، فكان على صلة بعدد من الورّاقين فيها، من أمثال أبي الفتح الوراق، وابن النديم صاحب الفهرست وغيرهما، ورويت عنه بعض الأخبار التي دارت في تلك الأسواق[2].

وإذا تجاوزنا علاقته بأدباء عصره من أصحابه في مجلس الوزير المهلبي وغيرهم، فإننا نجد له بعض الآثار التي تدل على علاقته بعدد من رجال الحكم والسياسة في عصره وتكشف عن مواقفه من احداث هذا العصر المضطربة. وقد ارتبطت علاقته بهم بحكم صلته بالوزير المهلبي بروابط وثيقة، إذ نجده يهجو أبا عبدالله البريدي (٣٣٣ هـ) هجاء لاذعاً، عندما ولاه الخليفة الراضي بالله الوزارة، وذلك في قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت ومطلعها[3].

يا سماء اسقطي ويا ارض ميدي   قد تولى الوزارة ابن البريدي
جلّ خطب وحل أمر عضال   وبلاء أشاب رأس الوليد

---

(١) الفهرست ٥٥، أدب الغرباء ٦٠.
(٢) معجم الأدباء ١٣ / ١٢٩.
(٣) معجم الأدباء ١٣ / ١١٢، الفهرست ٢٠٩.

هدّ ركن الإسلام وانتهك الملك وانمحت آثاره فهو مودي
أخلقت بهجة الزمان كما أنهج حول السنباس وشي البرود

إلى أن يقول:

وتوهمت أن سيخدعه ذا ك فيغتاله اصطياد الصيود
هو أدرى مما تقدّر أمّا ليس ممن يصاد بالتفنيد

وكان ذلك سنة ٣٢٧ هـ على ما يذكر ياقوت، أو سنة ٣٣٠ هـ على ما ذكر صاحب الفخري (١)، وكان الصراع إبّان هذه الفترة محتدماً بين البريديين والحمدانيين والبويهيين قصد الاستيلاء على مقاليد الأمور في بغداد. إلى أن تم ذلك للبويهيين إذ دخلوها سنة (٣٣٤ هـ) وكان المهلبي أول الداخلين إليها. فأخذ البيعة لمعز الدولة وإخوته من الخليفة، ولم ينس هذا الموقف لأبي الفرج بعد ذلك (٢). كما لم ينس له موقفه من الصراع حول الوزارة بينه وبين أبي الحسن طازاد، وكانا معاً خليفتين للصيمري وزير معز الدولة منذ (٣٣٤ هـ). وكان أحدهما مهيأ لتوليها بعد وفاته (٣٣٩ هـ)، فتمّ للمهلبي ذلك فعلاً. وقد أسهم أبو الفرج في هذا الصراع المرير بهجاء طازاد هجاء مشيناً (٣).

أما علاقته بالعباسيين وموقفه منهم، فليس بأيدينا حوله سوى

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨، ابن الطقطقي ٢٥٧

(٢) انظر هذه الأحداث في الكامل في التاريخ ٨/ ٣٤٥ وما بعدها، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١١٢ تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٤٣ ـ ١١٥، ظهر الإسلام ١/ ٣ ـ ٣١.

(٣) معجم الأدباء ١٣/ ١٠٩، ٩/ ١١٩، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٢٤.

إشارات قليلة، وتلميحات سريعة وردت في ثنايا كتبه، وتدل على موقفه المعتدل منهم. إذ وجدناه يأخذ على ابن الرومي هجاءه إياهم «فأغرق في النزع وتعدى المقدار، بسبب موالبه بني العباس، وقوله فيهم من الباطل ما لا يجوز لأحد أن يقوله[1]» وكذلك كان موقفه من إحدى قصائد دعبل في هجاء الرشيد[2].

غير أنه لم يكن مرتاحاً إلى ما آلت إليه الأمور في عصره، إذ نجده يعلق على بعض الأقوال التي تفصح عن ذلك فيقول: «ونحن نقول: الله المستعان فالقصة أعظم من أن توصف»[3]

وتشير بعض المصادر القديمة إلى صلته الأدبية بالأمويين من حكّام الأندلس، فقال الخطيب البغدادي «وحصل له ببلاد الأندلس مصنّفات لم تقع إلينا»[4]

وذكر ابن الأثار ان الحكم المستنصر «بعث إليه ألف دينار عيناً ذهباً خاطبه يلتمس منه نسخة من الأغاني.. فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقحة، قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق، أو بنسخة أحد منهم، وألّف له أيضاً أنساب قومه من بني أمية.. وانفذ معه قصيدة حسنة من شعره، وكان محسناً، يمدحه بها، ويذكر مجد قومه بني أمية»[5].

---

(١) مقاتل الطالبيين ٦٤٦.

(٢) الأغاني ٢٠/١٨٠.

(٣) الأغاني ١٧/٦٥.

(٤) تاريخ بغداد ١١/٩٨.

(٥) الحلة السيراء ١/٢٠٢، نفح الطيب ١/٣٨٦ و٣/٧٢، ابن خلدون ٤/٣١٧.

كما بعث إلى سيف الدولة الحمداني في حلب بنسخة أخرى من الأغاني «فأنفذ له ألف دينار» ولما بلغ ذلك الصاحب بن عباد قال: لقد قصرّ سيف الدولة، وإنه ليستأهل أضعافها[1].

ومع أن هذه الأخبار لا تدل على صلته المباشرة بالأندلسيين أو سيف الدولة أو الصاحب بن عباد، إلاّ أن معظم المعاصرين يؤكدون هذه الصلات فيجعلون أبا الفرج نديماً لهم وواحداً من شعرائهم، ويذكرون أنه عاش عيشة الأديب الجوال، فنراه تارة في حلب ينادم سيف الدولة ويجتمع في بلاطه إلى المتنبي وأبي فراس[2] كما نراه أخرى عند وزيري بني بويه المهلبي والصاحب بن عباد[3]، بل ويذهب سزكين إلى أنه عاش «فترة من حياته كاتباً في خدمة ركن الدولة البويهي»[4]

٦ ـ شخصيته وأخلاقه

مع أن المصادر التي ترجمت لأبي الفرج تتفق جميعاً على سمو مكانته العلمية، وغلو كعبه في الأدب، ورسوخ قدمه في الفنون، حتى كان نديم الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء، يخشى لسانه العلماء، ويتّقي هجاءه العظماء والشعراء والأدباء في عصره. ومع أنها تعترف بأن أبا الفرج كان دائم المحبة لأصدقائه، صادق المودة لأصدقائه، وفيّاً لأساتذته، وهي من الأخلاق النبيلة التي اتصف بها

(١) معجم الأدباء ١٣/٩٧، مختار الأغاني ١/١، تجريد الأغاني ١/٦٥

(٢) نيكلسون: تاريخ الأدب العربي ٤٠.

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/٦٨

(٤) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ١/٦١٢.

حيث يحدث عن نفسه فيقول: «بلغ أبا الحسن حجظه أن مدرك بن محمد الشيباني الشاعر ذكره بسوء في مجلس كنت حاضره فكتب إليّ:

أبا فرج أُهجى لديك ويعتدى … عليّ فلا تحمى لذاك وتغضب
لعمرك ما انصفتني في مودتي … فكن معتباً إن الأكارم تعتب

فكتبت إليه:

عجبت لما بُلّغت عني باطلاً … وظنّك بي فيه لعمرك اعجب
تكلت إذ أنفسي وعُزّيَ اسرني … بفقدي، ولا ادركت ما كنت أطلب
فكيف بمن لاحظ لي في لقائه … وسيّان عندي و..له والتجنّب
فتف بأخ اصفاك محض مودة … تشاكل منها ما بدا والمغيب[1]

إلّا أن بعضها رسم لأبي الفرج صورة ذات ألوان قاتمة ظهر من خلالها وسخاً في ثوبه ونعله، قذراً في شكله وفعله، دنساً في طبعه ونفسه، بعيداً عن مظاهر الأدب والتهذيب السائدة في عصره». ويذكر ياقوت (٦٢٦ هـ) في معجم الأدباء[2] ما يلي:

«حدث الرئيس هلال بن المحسّن بن ابراهيم بن هلال الصابي في الكتاب الذي ألّفه في أخبار الوزير المهلبي... قال: كان أبو الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني من ندماء أبي محمد المخصوصين به، وكان وسخاً قذراً، لم يغسل له ثوب منذ فصله إلى أن قطعه، وكان المهلبي شديد التقشف، عظيم التنطس، وكان يحتمل له ذلك لموضعه من العلم. وكان الناس في ذلك العهد يحذرون لسانه،

---

(١) تاريخ بغداد ١١/٣٩٩

(٢) معجم الأدباء ١٣/١٠٠ ـ ١٠٥.

ويتقون هجاءه، ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومؤاكلته ومشاربته على كل صعب من أمره، لأنه كان وسخاً في ثوبه ونعله، حتى إنه لم يكن ينزع دراعه إلا بعد إبلائها وتقطيعها. فحدثني جدي، وسمعت هذا الحديث من غيره، ان أبا الفرج كان جالساً في بعض الأيام على مائدة أبي محمد المهلبي، فقدمت سكبناجه ولقيت منه سعلة، فبدرت من فمه قطعه من بلغم، فسقطت وسط الغضارة،

فتقدم أبو محمد برفعها، وقال: هاتوا من هذا اللون في غير هذه الصحفة، ولم يبن في وجهه، انكار ولا استكراه ولا داخل أبا الفرج في هذا الحال استحياء ولا انقباض، هذا إلى ما يجري هذا المجرى على مضي الأيام. وكان أبو محمد عزوف النفس، بعيداً عن الصبر على مثل هذه الأسباب، الآ أنه كان يتكلف احتمالها لورودها من أبي الفرج. وكان من ظرفه في فعله، ونظافته في مأكله أنه كان إذا اراد أكل شيء بملعقة كالأرز، أو اللبن وأمثاله، وقف في جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاج مجروداً، وكان يستعمله كثيراً، فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة، ثم إلى غلام آخر قام في الجانب الأيسر، ثم يأخذ أخرى، يفعل بها فعل الأولى حتى ينال الكفاية لئلا يعيد الملعقة إلى فيه ثانية. فلما كثر على المهلبي استمرار هذا مع ظرفه ونظافته، جعل له مائدتين احداهما كبيرة عامة، واخرى لطيفة خاصة، وكان يؤاكله عليها من يدعوه إليها.

قال ابن الصابيء: «وحدثني جدي أيضاً قال: قصدت أنا وأبو علي الأنباري، وأبو العلاء صاعد دار أبي الفرج لقضاء حقه.. وكان له سنور أبيض يسميه يقفاً . فقال: إنما لحق يقق قولنج

فاحتجت إلى حقنه، فأنا مشغول بذلك. فلما سمعنا قوله، ورأينا الفعل في يده، ورد علينا أعظم مورد لتناهيه في القذارة».

ذلك هو مجمل ما نقله ياقوت من كتاب ابن الصابىء عمّا يدور حول أبي الفرج من نعوت وأخبار وأقوال، ارتسمت من خلالها صورته، وانتقلت إلى كتب المعاصرين بعده، فوثقوا بصدقها وصحتها. إلاّ أن الموضوعية تقتضي من الباحث عن صورة أبي الفرج الحقيقية أن لا يكتفي بنص واحد أورده ياقوت عن ابن الصابىء. علماً أنه لم يكن معاصراً لأبي الفرج وإنما كان جده أبو إسحق أحد زملاء أبي الفرج في حلقة المهلبي. هذا إلى أن ما أورده يدعو القارىء إلى استغراب أمر العلاقة الوثيقة التي استمرت مدى العمر بين الرجلين مع ما بينهما من تناقض في الصفات وتباين في الطباع والعادات.

وعلى هذا فإن على الباحث عن صورة أبي الفرج الحقيقية، بعيداً عن هذا النص، أن يعود إلى نصوص معاصري أبي الفرج وتلامذته الكثيرين ممن ترجم له، ونقل إلينا أخباره أو بعضها، أو إلى غيرهم ممن روى عنهم هذه الأخبار مباشرة، واستكمال جوانب هذه الصورة من خلال مؤلفاته وآثاره وأشعاره، مما يمكننا من الكشف عن أبعاد شخصيته المختلفة.

على أننا لا نكاد نعثر في هذه المصادر على كثرتها على ما يعين على رسم هذه الصورة. ويمكن أن نعزو ذلك إلى أن أصحاب التراجم قلّما يطيلون عند الخصال الحميدة أو الذميمة التي لا تخرج من مألوف عصرهم بحيث تستدعي الوقوف عندها حقاً.

ترجم ابن النديم (نحو ٣٨٠ هـ) لمعاصره أبي الفرج، وكان أحد أصحابه الذين حدّثوا عنه، فذكر اسمه ونسبه وبعض تصانيفه وقال أثناء ذلك: «وكان شاعراً مصنّفاً أديباً» [١] دون أن يشير إلى شيء من صفاته وأخلاقه، بينما وجدناه يطيل الوقوف عندما عرف به غيره من معاصريه من دنيء الصفات والخصال كجحظة البرمكي فقال عنه بعد أن نوّه بسعة علمه وشاعريته: «وكان مع ما وصفناه به بعيداً عن أدب النفس، وكان وسخاً، وفي دينه بعض العهدة، بل العهدة كلها» [٢] . كما ترجم له المحدث أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠ هـ) في «ذكر أخبار أصبهان» ولم يتعرض له أو يشير إلى أخلاقه وسلوكه وصفاته، وكان أحد معاصريه.

وقد اتصل به، ولم يقدر له سماع منه [٣] . ولا نجد في ترجمة الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) لأبي الفرج سوى ما يزينه ويرفع من قدره فقد قال: «وكان من أعيان أدباء بغداد، وأفراد مصنفيها، وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء» ثم يسرد بعض مؤلفاته وأشعاره [٤] .

كذلك فعل الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) في ترجمته له، إذ أورد فيها ما سمعه من السنة بعض تلامذته ومعاصريه حول جرحه وتعديله من أقوال وليس فيها إشارة إلى صفاته وأخلاقه [٥] .

---

(١) الفهرست ١٧٢ .

(٢) الفهرست ٢١٤ .

(٣) ذكر أخبار أصبهان ٢ / ٣ .

(٤) يتيمة الدهر ١ / ٩٦ ـ ١٠٠ .

(٥) تاريخ بغداد ١١ / ٣٨٩ ـ ٤٠٠ .

ونستطيع القول بعد الذي تقدّم، أن كتب التراجم التي كان لأبي الفرج ذكر فيها تكاد تجمع على الإشادة بسعة علمه، وكثرة محفوظه، وجودة شعره، وكثرة تآليفه والإشارة إلى صفاته وأخلاقه، إذ لم يكن معروفاً بما عرف به معاصره جحظه البرمكي مثلاً من دنيء الخصال والصفات، فيشهر به كما شهّر بجحظة، ويروى عنه ذلك كما روي عنه، كما لم يتميز بما تميز به معاصره الطبري والانباري من صفات نبيلة ترددت اصداؤها في كتب التراجم والأدب، بل كان وسطاً بين معاصريه في ذلك، ومن هنا كان هذا السكوت المطبق عن هذه الجوانب في شخصيته لدى تلامذته ومعاصريه ومن ترجم له أو ذكره، باستثناء ابن الصابىء من المتأخرين.

وكما لم تكن أخلاقه كما رأينا، موضع اهتمام معظم من ترجم له أو ذكره من المؤلفين، فإننا أيضاً لا نجد أحداً من هؤلاء يتعرض إلى سلوك أبي الفرج أو يغض منه، ومنهم عدد كبير من معاصريه وغرمائه. وإن كان ابن الجوزي (ت ٥٩٧) بعد ذلك قد استنتج من بعض ما ورد في الأغاني وغيره من أخبار الشعراء ما يدل على قبح سلوكه فقال:

«وكان يتشيع، ومثله لا يوثق به وبروايته، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب فسقه، ويهوّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر»[1] . ومن الواضح أن هذا القول يستند أساساً على ما يمكن أن يتكشف للقارىء من صفات المؤلف وأخلاقه وسلوكه، دون الاعتماد على أخباره

---

(١) المنتظم ٧/٤٠، البداية والنهاية ١١/٢٦٣.

الصحيحة، واراء أصحابه ومعاصريه فيه، وفي ذلك مجال واسع للجدل والنقاش، علماً أن أخبار الأغاني لا تقتصر على الخمرة وشعرائها، ولا يمكن المقارنة بين أخبار هؤلاء الشعراء، وغيرهم من الصحابة والفقهاء والمحدثين وأهل الحد والرصانة من شعراء الجاهلية والإسلام وغيرهم ممن يحفل الأغاني بأخبارهم وأشعارهم التي تتجاوز كثيراً أخبار غيرهم فيه وأشعارهم. ولم نجد أحداً من القدماء يغض من الأغاني وصاحبه لذكره شعراء الخمرة أو المجون وروايته أشعارهم أو يجدوا ضيراً في ذلك وإنما نجدهم يجمعون على الإشادة بالأغاني ومؤلفه. بل إن كثيراً من المؤلفين خصوا شعراء الخمرة بكتب مفردة دون أن يكون دليلاً على سوء أخلاقهم أو حسنها، مما يحملنا على الاعتقاد إلى أن ما ذهب إليه ابن الجوزي ومن تابعه مرتبط إلى حد بعيد بقوله عنه «وكان يتشيّع، ومثله لا يوثق به وبروايته، فإنه كان يصرح في كتبه بما يوجب الفسق...» إذ ربط بين ما كان يقال عن تشيّع أبي الفرج وبين فسقه وتلك مسألة لا تخلو من الوهم.

وإذا كنا لا نجد لدى أصحاب التراجم إشارة إلى أخلاقه وسلوكه، فإن أبا الفرج نفسه قد روى لنا بعض الأخبار التي تدل عليها في كتبه ومنها قصة خروجه إلى دير الثعالب في ظاهر بغداد «للنزهة ومشاهدة اجتماع النصارى هناك، والشرب على نهر يزدجرد الذي يجري على باب هذا الدير»(١) كما قال في أدب الغرباء. وروى لنا في هذا الكتاب أيضاً قصة من قصص الصبا، إذ كان يألف فتى من أولاد الجند، كان في نهاية الحسن، وسلامة الخلق

---

(١) أدب الغرباء ٣٤.

يحب الأدب ويميل إلى أهله، ولم يزل يعمل به قريحته حتى عرف صدراً من العلم وجمع خزانة من الكتب، فمضت له معه سير ومكاتبات وأشعار، كان يتمنى لو جمعها في كتاب مفرد [١] .

كما روى أبو الفرج أيضاً أنه سكر مع الوزير المهلبي وبعض ندمائه، وانفضّ مجلسهم، ولم يبق فيه غيرهما، فطلب المهلبي منه أن يهجوه، وألحّ في ذلك، وأقسم عليه، فهجاه بشطر، وحلف إلاّ يكمله أو يزيد عليه، فأجازه المهلبي وأكمله [٢] .

وفيما عدا هذه الأخبار الثلاثة التي رواها أبو الفرج نفسه، فلم يقف الباحثون على خبر آخر أو رأي آخر على سلوكه وأخلاقه وفي ذلك ما يؤكد أنه كان إنساناً عادياً لم يشتهر أمره بالفسق أو المجون، ولم يعرف بورع أو تديّن، فيذكر ذلك عنه في جملة ما ذكره أصحابه وتلامذته.

فإذا ما تجاوزنا مسألة القذارة التي حاول بعضهم وصمه بها أو تهمة التهتك والمجون والإسراف في اللذات والشهوات التي الصقت به من المعاصرين [٣] ، فإننا لا نعدم وجود بعض الأخبار التي تساعد على بلورة صورة أبي الفرج، بجوانبها السلبية والإيجابية، ومن ذلك ما رواه ابن الصابىء والتنوخي وغيرهما من أخبار علاقته مع الوزير المهلبي، وصحبته الطويلة له، وقد وصفوه بأنه كان نديماً له، وهو الوصف الذي يرتبط بجملة من الخصائص التي يجب

---

(١) أدب الغرباء ٨٣ .

(٢) معجم الأدباء ١٣ /١٠٨ .

(٣) النثر الفني ١ /٢٨٨ ، مصادر الأدب ١ /١٧٠ ، صاحب الأغاني ١٣٢ ، ١٤٩ .

توافرها في النديم عادة كطيب المعشر، وحسن المظهر، وشدة التهذيب.

ومما يروى من أخباره التي تدل على لطف مداخله، وتؤكد سرعة بديهته وخاطره، وحبه للنكتة والنادرة، وكرهه للكذب أن القاضي الجهني كان يتردد على مجلس الوزير المهلبي، فيورد من الحكايات والأحاديث ما لا يقبله منطق، أو يدخل في إطار المعقول، ومنها قصة النعنع الذي يتشجر فيصنع من خشبة السلالم. الأمر الذي نفد معه صبر أبي الفرج فحكى له قصة الحمام الذي يبيض، ثم يفقس عن طست وأباريق، ففطن معها الجهني إلى قصده منها «فانقبض بعد ذلك عن كثير مما كان يحكيه» [١].

وقد خلّف ميله إلى الدعابة آثاره في تآليفه، فوجدناه يقول في مقدمة الأغاني:

«ولم يزل متنقلاً بها من فائدة إلى مثلها، ومتصرفاً فيها بين جد وهزل» وأورد فيه بعض الطرف والنوادر، وعلّل ذلك تعليلاً نفسياً تمليه مادة كتابه الطويلة. «ليكون القارىء أنشط لقراءته وأشهى إلى تصفُّح فنونه» [٢].

على أن ميله إلى الدعابة لا ينفي عنه حدة المزاج والطبع، إذ اشتهر بإجادة الهجاء، فوجدناه يهجو عدداً من أصحابه ومعاصريه من الأدباء هجاءً ساخراً يجري مجرى الدعابة كهجائه أبا الحسن طازاد، والقاضي الجهني، وأبا سعيد السيرافي، والبريدي، في بعض

---

(١) معجم الأدباء ١٣/١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢) الأغاني ١/٢٠١.

الأبيات من شعره وهجائه علي بن المنجم وابنه هرون في كتابين من كتبه هما «الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار» و«صفة هرون». وإذا كنا لا نعرف عن هذه الكتب شيئاً، فإن في عناوينها ما يوحي بما كان بينه وبين معاصريه من خلافات، وتؤكد حدة طبعه، وكان من آثارها تلك الصورة التي رسمها ابن الصابىء له، وتأثر منها بآراء جده فيه، وذكر أثناءها أن «الناس في ذلك العهد كانوا يحذرون لسانه، ويتقون هجاءه»(١).

يبقى هناك جانب يكشف لنا عن الخفايا العميقة لشخصية أبي الفرج وهو اهتمامه الشديد بالطير والحيوانات، وحبه لها، وشغفه بها، هذا الحب والشغف دفعه إلى أن يجمع في داره عدداً منها، ومن ذلك سنّوره الذي كان يدعوه يقق لشدة بياضه وقد روّضه على استقبال الضيوف عند مدخل الدار ببعض الأصوات والحركات كما روي من أخباره (٢)، وديكه أبو النذير الذي رثاه بقصيدة من مختار الشعر ونادر القصيد كما وصفها بعض القدماء ومنها قوله: (٣):

خطب طرقت به أمر طروق ... فظا لحلول على غير شفيق
فكأنما نوب الزمان محيطه ... بي راصدات لي بكل طريق

وله بعد قصائد أخرى في الطير والحيوان، تعبر عن ولعه الشديد

---

(١) معجم الأدباء ١٣/١٠١.
(٢) معجم الأدباء ١٣/١٠٨.
(٣) مقدمة الأغاني ١/٢٦ ـ ٢٨.

بها، فقيل إنه من العلماء بالجوارح والبيطرة [1] . بل إن أطول قصيدة رواها في هذا الكتاب كله هي قصيدة محمد بن يسير في وصف شاة وهجائها، وعدة أبياتها واحد وخمسون بيتاً من الشعر [2] .

٧ ـ مذهبه الديني ومعتقده:

ذهب كثير من معاصري أبي الفرج إلى أنه كان شيعي المذهب، فقد نقل إلينا القاضي أبو علي المحسن بن أبي قاسم التنوخي بعض أخباره ومن ذلك قوله: «ومن الرواة المتشيّعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصفهاني، فإنه كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار ما لم أر قط من يحفظه مثله. . .» [3] . وتابعه على ذلك محمد بن أبي الفوارس (٣٣٨ ـ ٤١٢ هـ) إذ قال «وكان أموياً، وكان يتشيّع» [4] . وعلى هذا فقد شاع تشيّع أبي الفرج في كتب المتأخرين، ونقله الخلف عن السلف على أنه حقيقة ثابتة. على أن بعض المؤرخين أثار حول مسألة تشيع أبي الفرج شكوكاً مختلفة فقال ابن الأثير «وكان شيعياً وهذا من العجب» [5] ، وقال الذهبي في العبر: «ومن العجائب أنه مرواني يتشيّع» [6] ، وقال في ميزان

---

(١) معجم الأدباء ١٣/١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) الأغاني ١٤/٢٠ ـ ٢٦.

(٣) روى البغدادي هذا الخبر عن التنوخي أنظر تاريخ بغدادي ١١/٣٩٩.

(٤) تاريخ بغداد ١١/٤٠٠، المختصر ٢/١١٤، أنباء الرواة ٢/٢٥٢، الوفيات ٣/٣٠٧.

(٥) الكامل في التاريخ ٨/٥٨.

(٦) العبر ٢/٣٠٥.

الاعتدال: «شيعي وهذا نادر في أموي» [1] . وقال ابن حجر «شيعي زيدي، وهذا نادر في أموي» [2] . بل إن بعض المؤلفين الشيعة لم يكتف بابداء الشك في صحة تشيع أبي الفرج، وإنما تجاوز ذلك لينكر نكراناً قاطعاً أن يكون لهذا التشيع ظل من الحقيقة فقال الخونساري: «وإيما وجد في كلماته من المديح، ففيه أولاً أنه غير صحيح، ولو سلم فهو محمول على قصد التقرب إلى ابواب ملوك ذلك العصر المظهرين لولاية أهل البيت غالباً، والطمع في جوائزهم العظيمة بالنسبة لمادحيهم. ومع أني تصفحت كتاب أغانيه المذكور إجمالاً، فلم أر فيه إلا هزلاً وضلالاً، أو بقصص أهل الملاهي اشتغالاً، وعن علوم أهل بيت الرسالة اعتزالاً، مضافاً إلى كون الرجل من الشجرة الملعونة في القرآن، وداخلاً في سلسلة بني أمية وآل مروان. فكيف يمكن وجود رجل من أهل الإيمان في قوم توجّه إلى قاطبتهم الألعان على أي لسان ومن أي إنسان» [3] .

ولا شك أن الخونساري قد تصفح مقاتل الطالبيين واطلع عليه كما اطلع على الأغاني، فلم يجد فيه ما يدل على التشيع، إن لم ير فيهما الصد عنه والإعراض. كما أن من ترجم له كابن النديم وأبو نعيم الأصبهاني، أو روى عنه كالدارقطني لم يشيروا إلى تشيعه. وهناك من يرى حدوث تصحيف وتحريف في الخبر الذي أورده

---

(١) ميزان الإعتدال ٢/١٢٣.

(٢) لسان الميزان ٤/٢٢١.

(٣) روضات الجنات ٥/٢٢١.

البغدادي نقلاً عن التنوخي. لكلمة متشيّع في الخبر ينبغي أن تقرأ متّسع، فأبو الفرج راوية متسع وليس راوية متشيعاً.

وهكذا نرى ما كان لهذه المسألة من ذيول في كتب القدماء والمعاصرين، لما لها من ارتباط بمروياته وأخباره، وما لها من صلة بشخصيته ومعتقداته، فإذا كان البعض قد قطع بصحة تشيعه فإن آخرين أبدوا الشك في صحتها دون أن يتعدى حدود هذا الشك إلى اليقين، أو أنكرها البتة.

وما دام الشك قائماً في صحة هذه المسألة فإن على الباحث أن يتحرى أصولها وفروعها ويتقصى آثارها في مؤلفات أبي الفرج كي يكتشف حقيقة مذهبه ومعتقده. وقبل ذلك لا بد أن نتوقف عند ظروف أبي الفرج العائلية. وظروف عصره السياسية والمذهبية، إذ كان ينتسب إلى آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد الذين بعدما أصابهم من أذى مقاتل على أيدي العباسيين تفرقوا في أقطار الأرض، فاتجه عدد منهم إلى الأندلس ومصر وأصبهان وغيرها من البلدان المعروفة بمناصرة الأمويين وأهل السنة. وقد عاش أبو الفرج حياته في ظل حكم البويهيين. وكانوا شيعة متشددين. وقد أضفوا على مذهبهم صبغة رسمية بعد استيلائهم على الحكم والخلافة العباسية في العراق وفارس، وأظهروا تعصبهم الشديد لآل البيت وشيعتهم وحملوا الناس على مشايعتهم في ذلك. وقد كثرت الفتن المذهبية في ذلك العصر وزاد التعصب مما حمل الكثيرين، وبينهم أدباء ومفكرون، على مسايرة حكامهم وعامة الناس في عصرهم. فقد توفي أبو بكر الصولي بالبصرة «مستتراً لأنه روى خبراً في حق

الإمام علي فطلبته العامة والخاصة لتقتله» [1] ، واتهم ابن المعتز قبل ذلك بالنصب والعداوة لآل البيت من الطالبيين والشيعة فأدى ذلك إلى مقتله كما هو معروف من أمره [2] . وظل أبو الفرج نفسه يعرض عن ذكر نسبه الأموي الصريح، ويكتفي من ذلك بالقول في مقدمة الأغاني «هذا كتاب ألّفه علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصفهاني» [3] .

فإذا ما أدركنا هذه الظروف كلها، أمكن لنا تقدير موقع أبي الفرج في عصره، وحاجته الشديدة إلى إظهار المحبة والولاء لآل البيت وشيعتهم دون أن يعني ذلك حقيقة تشيعه فإذا ما انتقلنا إلى تراجم المعاصرين له نجد أن ابن النديم معاصره لم يصفه بالتشيّع، كما لم يذكر له كتاباً في الفصل الذي خصّصه لمؤلفي الشيعة وآثارهم، مع أن كتاباً معروفاً هو «مقاتل الطالبيين» وغيره مما يمكن أن يدرج في قائمة هذه الكتب والآثار [4] .

كما ترجم له معاصره أبو نعيم الأصبهاني في «ذكر أخبار أصبهان» وهو مخصص برواة الحديث النبوي الشريف، دون أن يشير إلى تشيّع فيه، مع ما لذلك من صلة قوية بموضوع كتابه [5] . وروى عنه الدارقطني تلميذه «ولم يتعرض له» [6] . كما لم يتعرض له من

---

(١) وفيات الأعيان ٤ / ٣٦٠
(٢) الصولي، طبقات الشعراء المحدثين ١٢٢
(٣) الأغاني ١ / ١ .
(٤) الفهرست ١٧٢ - ١٧٣، ٣٢١ - ٣٢٨، ٢٦٣ - ٢٦٨، ٢٧٨ - ٢٩٣ .
(٥) ذكر أخبار أصبهان ١ / ٢٢
(٦) لسان الميزان ٤ / ٢٢٢

روى عنه الحديث النبوي من تلامذته كعلي الرزاز، وابن دوما، وابراهيم بن مخلد وغيرهم من المحدثين الذين يولون هذا الجانب عنايتهم الشديدة كما هو معروف[1].

كل هذه الأقوال والآراء والشكوك تحملنا على أن نقطع بصحة أو عدم صحة تشيّعه. فإذا ما تجاوزناها لنمعن النظر في مؤلفات أبي الفرج وآثاره وأشعاره لعلّها تكشف لنا عن حقيقة مذهبه، ونؤيد أمر تشيّعه أو نردها، فإن أول ما يخطر بالذهن كتابه الذي كان أول كتاب ألّفه في حياته العلمية ونعني «مقاتل الطالبيين» الذي تناول فيه سير نيف ومائتين من قتلى الطالبيين وشهدائهم منذ زمن الرسول ﷺ إلى الوقت الذي انتهى فيه من تأليفه سنة ٣١٣ هـ[2].

يدل عنوان الكتاب بداية، على نزعة شيعية ظاهرة، مع أنه لم يكن أول من تصدّى لهذا الموضوع من المؤلفين، وإنما سبقه إليه عدد كبير منهم من أهل السنة أو الشيعة، إذ وجدوا فيه مجالاً للتقرب إلى الحكام من شيعة الطالبيين، وأشبعوا من خلاله رغبة عامة الناس في عصرهم، ووجدوا فيه مجالاً للشهرة كذلك[3].
وليس عسيراً استجلاء موقفه من الطالبيين. ومن كان على صلة بالتشيّع منهم بخاصة من خلال عرض أسلوبه في تناول أخبارهم وأقواله فيهم، وآرائه حولهم. فهو عندما يعرض لأهم شخصية منهم

---

(١) تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ ـ ٣٩٩.
(٢) مقاتل الطالبيين ٢٧
(٣) مقاتل الطالبيين مقدمة ك، الفهرست ١٣٨ وما بعدها.

جميعاً، ونعني شخصية الإمام علي، نراه يفرد لسيرته عشرين صفحة كاملة [1] يذكر فيها ألقابه وأوصافه، حتى إذا ما أكمل ذكرها نجده يقول: «وقد أتينا على صدر من أخباره فيه مقنع، وفضائله عليه السلام أكثر من أن تحصى» [2] دون أن نجد لهذه الفضائل لديه ذكراً، كما لا نجد لخلافه مع معاوية وحقه في الخلافة أثراً. بينما نجده يركز في أخباره عن الحسن على هذا الخلاف ويحرص على نقل ما تبادله مع معاوية من رسائل مبايعته لمعاوية، وتخليه عن حقه في الخلافة، فمقتله على يد زوجته لقاء مال بذله لها معاوية، ووعد لم ينجز بتزويجها من ابنه يزيد بعده [3].

ومع أن ابا الفرج آلى على نفسه في أول الكتاب «أن يقتصر في ذكر أخبارهم على ما كان محمود الطريقة، سديد المذهب، لا من كان خلاف ذلك، وعَدَل عن سبيل أهله، ومذاهب أسلافه، وكان خروجه على سبيل عبث أو فساد» [4]. ومع هذا نراه حينما يورد سيرة عبد الله بن معاوية العلوي ينعته بأقبح النعوت فيقول عنه: «وكان سيء السيرة، رديء المذهب مستظهراً ببطانة السوء ومن يُرمى بالزندقة، ولولا أن يظن أن خبره لم يقع علينا لما ذكرناه مع من ذكرنا» [5].

ولم تكن صورة الطالبيين في الأغاني مختلفة عن

---

(١) مقاتل الطالبيين ٢٤ ـ ٤٥.
(٢) مقاتل الطالبيين ٢٨.
(٣) مقاتل الطالبيين ٤٦ ـ ٧٣.
(٤) مقاتل الطالبيين ٥.
(٥) مقاتل الطالبيين ١٢٦.

صورتها في مقاتل الطالبيين، بل هي أوسع فنيلا، وأكثر تفصيلاً، وأقوى دلالة على موقف أبي الفرج منهم؛ فهو لم يفرد للإمام علي أخباراً فيه، وإنما أورد بعض أخباره وأقواله في ثنايا كتابه، فيها لا نقع فيه على خبر من أخبار فضائله ومكارمه وعبقريته وشاعريته أو غير ذلك مما هو شائع ومشهور عنه. أما أخبار الحسين بن علي [1] فقد استغرقت أكثر من خمس وثلاثين صفحة في الأغاني، لم يكن للحسين فيها سوى ذكر اسمه ونسبه، ثم انطلق أبو الفرج بعد ذلك لسرد أخبار ابنته سكينة مع الشعراء والمغنّين وأخبارها مع ابن سريج [2]. وبعد ذلك نقع على أخبار «محمد بن صالح العلوي» [3] فلا نقرأ سوى أخبار سكره وعربدته، ومعاشرته لأهل المجون والزندقة من بطانته، وخروجه على سبيل السطو والفساد، وبعض أشعاره في الغزل ومديح المتوكل والمنتصر من خلفاء بني العباس.

وعلى هذا النحو يمضي في سرد أخبار عبد الله بن الحسين بن علي. وهذه الأخبار يدور في معظمها حول جدته أم إسحق، وأخبار أمه فاطمة بنت الحسين بن علي وحنثها بالوعد الذي قطعته لزوجها في ساعات نزعه الأخير، ألا تتزوج من عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفّان بعده، وقسمها على ذلك، لكنها كفّرت عن يمينها وتزوجت منه بعد موته. وفي آخر أخباره وجدناه يقف بين يدي المنصور.

---

(١) الأغاني ١٦/١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) الأغاني ١٧/٤٢ ـ ٤٥.

(٣) الأغاني ١٦/٣٦٠ ـ ٣٧٢.

فأخذ يعيّره بأمهاته، ثم زجّ به في السجن [١] . ولن نسترسل في إيراد الأمثلة، ولا شك في أن أبا الفرج كان بإمكانه لو كان متشيعاً حقاً، أن يختار من أخبار هؤلاء الطالبيين غير ما أورده ممّا لا يدل على هوى معهم أو ميل إليهم في كل الأحوال.

وينسحب موقف أبي الفرج من الطالبيين على شعراء الشيعة في الأغاني، فهو يبخل في رواية أشعارهم التي تمثل مذهبهم ويحرص على إبراز مثالبهم والغض منهم. فلا نقع في أخبار الكميت بن زيد [٢] التي استغرقت أربعين صفحة كاملة إلاّ على بيت واحد من لاميته الشهيرة التي رثى فيها زيد بن علي، بينما وجدناه يروي من قصيدته في مديح يزيد بن معاوية ثلاثة وعشرين بيتاً، إضافة إلى ما رواه من مدائحه الأخرى في بني أمية. ولم يذكر لنا من هاشمياته، وهي أجود شعره سوى عشرة أبيات. ولم يرو أبو الفرج سوى شطر واحد من قصيدة دعبل الخزاعي [٣] في مدح آل البيت «مدارس آيات خلت من تلاوة» كما لم يروِ لديك الجن الحمصي بيتاً واحداً فيه مدح للطالبيين، بينما نراه يروي قصيدته في هجاء ابن عم له كاملة [٤] . أما موقفه من أكبر شعراء الشيعة وأشهرهم السيد الحميري فلا يدل على أثر للتشيع في نفسه، إذ قال في صدر أخباره: «وكان يفرط في سبّ أصحاب رسول الله وأزواجه في

---

(١) الأغاني ٢١/١١٤ ـ ١٢٥.
(٢) الأغاني ١٧/١ ـ ٤٠.
(٣) خص أبو الفرج دعبل وأخباره بخمسين صفحة الأغاني ٢٠/١١٩ ـ ١٧٦.
(٤) الأغاني ١٤/١ ـ ٥.

شعره. ولم نجد بدأ من ذكر أسلم ما وجدناه له وأخلاها من سيّ‌ء أخباره على قلة ذلك»[1]. ولا نجد في أخبار أبي الأسود الدؤلي سوى ما يؤكد تحامل أبي الفرج عليه، إذ اختار منها ما يدل على بخله وطمعه وتقلّب هواه ومصانعته للأمويين وشكه في صحة خلافة علي[2]. ويُطيل أبو الفرج الوقوف عند قصيدة الفرزدق في مديح زين العابدين علي بن الحسين ومنها:

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلاّ حين يبتسم

وبعد حديث عن هذه القصيدة يستغرق خمس صفحات يؤكد أبو الفرج أن هذه القصيدة هي للحزين الكناني في مديح عبد الله بن عبد الملك بن مروان[3].

وفي المقابل نجد أبا الفرج يرصد بعناية أخبار الناصبيين والعثمانيين والأمويين في كتابه الأغاني فلا يدع فضيلة أو مكرمة إلاّ وينعت بها ابراهيم بن المهدي الشديد الكره لآل أبي طالب وشيعتهم[4]. وكذلك حاله مع ابن المعتز الذي كان أشد انحرافاً عن آل البيت والشيعة من ابراهيم بن المهدي مما يظهر تعاطفه مع الناصبيين وإعجابه بهم، ودفاعه عنهم والإكثار من سرد أخبارهم التي تمثل مذهبهم، وأشعارهم التي تجري هذا المجرى. أما أخباره

---

(١) الأغاني ٧/ ٢٣٠.

(٢) الأغاني ١٢/ ٢٩٧ ـ ٣٣٤.

(٣) الأغاني ١٥/ ٣٢٥ ـ ٣٢٩.

(٤) الأغاني ١٠/ ١٢٦.

عن الأمويين وشعرائهم في الأغاني فهي كثيرة جداً، إذ استغرقت أكثر من نصف كتاب الأغاني، وقد أورد فيه أخبار نحو من مائة وخمسين شاعراً من شعرائهم دون غيرهم ممن كان في عصرهم من الشعراء. وكان يفيض في رواية أخبارهم وأشعارهم التي قالوها في مديحهم [1].

من كل ذلك يمكن أن نقول أن أبا الفرج، خلافاً لما هو شائع عنه كان متعصباً لآله من بني أمية، منحرفاً عمّن هو ضد لهم من الشيعة.

٨ ـ **موقف أبي الفرج من الشعوبية**: من المعروف أن العصر العباسي قد حفل بعداوات شتى، ونزعات متباينة، ومذاهب مختلفة، كان من أهمها وأبعدها أثراً في تاريخ العرب والمسلمين الدعوة الشعوبية التي تمثل خلاصة الصراع العنصري والفكري الدائر ما بين العرب وأنصارهم، والفرس وأشياعهم في ذلك العصر. وكان لهذا الصراع أسبابه العديدة ونتائجه الخطيرة. وكان لنسب أبي الفرج العربي، الذي ينتهي عند جده السابع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أثره في شخصيته وكتبه، كما كان له أثر مماثل في حملته العنيفة على الزنادقة والشعوبيين حيث أكد ارتباط دعوتهم بنزعتهم العرقية والعنصرية التي تتعارض ومبادىء الدين الحنيف، وتؤدي في النهاية إلى هدم أركانه.

---

(١) شفيق جبري: دراسة الأغاني ٢٨ ـ ٤٣.

وقد وردت هذه الحملة القوية أثناء حديثه عن الشاعر أبي عيينة وقد طعن فيه بعض أهل التشعب والمثالب من أمثال «الهيثم بن عدي، وأبو عبيدة وابن مزرع. وسائر من جمع كتاباً في المثالب» ثم قال: «وليس هذا من الأقوال المعوّل عنيها، لأن أصل المثالب زياد لعنه الله لما ادّعى إلى أبي سفيان، وعلم أن العرب لا تُقر له بذلك مع علمها بنسبه، ومع سوء آثاره فيهم. عمل كتاب المثالب، فألصق بالعرب كلها عيب وعار، وحق وباطل، ثم بنى على ذلك الهيثم بن عدي، وكان دعياً، فأراد أن يعرّي أهل البيوتات تشفياً منهم، وفعل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى، وكان أصله يهودياً وأسلم جده على يدي بعض آل أبي بكر الصديق، فانتمى إلى ولاء بني تميم، فجدّد كتاب زياد وزاد فيه، ثم نشأ غيلان الشعوبي لعنه الله، وكان يوري عنه في عوراته للإسلام بالتشعب والعصبية، ثم انكشف أمره بعد وفاته، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين وكان شديد التشعّب والعصبية، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله، فبدأ فيه بمثالب بني هاشم، وذكر مناكحهم وأمهاتهم وصنائعهم، وبدأه بالطيّب الطاهر رسول الله ﷺ فغمصه وذكره، ثم والى بين أهل بيته الأذكياء النجباء، ثم ببطون قريش على الولاء ثم بسائر العرب، فألصق بهم كل كذب وزور، ووضع عليهم كل خبر باطل، وأعطاه طاهر على ذلك مائة ألف درهم فيما بلغني» (الأغاني ٢٠/١٧).

ومع ما يمكن أن يكشف عنه هذا النص الهام من حقائق تدل على موقفه من الشعوبيين وأصحاب المثالب، وإدراكه العميق لحقيقة غاياتهم ومقاصدهم وطبيعة مذاهبهم وأهوائهم، إلا أننا نجد بعض الأقدمين والمعاصرين يحذر من شعوبيته حيث رأى محمد كرد علي

علي أنه «من جملة المؤلفين المتعصبين ممن لم تسلم نفسهم من الشعوبية، وكان التشيّع غالباً عليهم» دون أن يكون لهذا الرأي ما يبرّره، إذ لم يدل عليه بأي دليل، على الرغم من خطره، ومجانبته للحق والصواب. وربما استند على ما ورد في كتب الأقدمين والمعاصرين من تحريف لأسماء بعض كتب أبي الفرج، ومنها كتاب «التعديل والانتصاف» وقد ذكره أبو الفرج في معرض حديثه عن أشعار بعض الشعراء فقال: «وسائرها مذكور من جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابها وأخبارها، وسميته: التعديل والانتصاف.. ولأسد أشعار كثيرة، وسائرها يذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل».

وإذا كان معظم من ذكر هذا الكتاب قد جعل منه كتابين أو ثلاثة كتب مختلفة فإن عدداً منهم قد ذيّلهُ بذيول غريبة، فورد، كما رأينا، عند ياقوت باسم «التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأشعارها». واختار ابن واصل أن يسميه «التعديل والانتصاف في مآثر العرب» وأضاف القفطي وابن خلكان واليافعي والصالحاني وغيرهم إلى ذلك كلمة «ومثالبها» بينما أبدلها حاجي خليفة بكلمة: «وأمثالها»، وأكد بروكلمان على تسميته «التعديل والانتصاف في مثالب العرب ومعايبها» مؤكداً أنه ورد كذلك في تاريخ الخطيب البغدادي، دون أن يكون لهذا الكتاب ذكر في المصدر الذي أحالنا إليه، كما أن أحداً غير بروكلمان لم يذكر لأبي الفرج كتاباً بهذا الإسم. على أننا نجد الخطيب البغدادي يذكر له كتاباً آخر من كتبه باسم «أيام العرب ومثالبها» وقد ورد عند غيره من القدماء باسم «أيام العرب» فحسب، كما ذكرنا عندما درسنا مؤلفات أبي الفرج

ونسب الأب صالحاني اليسوعي لأبي الفرج في جملة ما نسب إليه من الكتب، كتاباً بعنوان «أعيان الفرس» وهو في الحقيقة من تأليف أبي الفرج علي بن حمزة الأصفهاني. وكان لتشابه الأسماء أثر في هذا الخلط.

ولعل في ذلك كله ما دعا البعض، وكرد علي منهم، إلى القول بشعوبية أبي الفرج الأصفهاني والذي لا نجد له ما يؤيده في آثار أبي الفرج، بل إننا نجد ما يجانبه كما ورد في النص الذي استشهدنا به.

٩ ـ وفاته: اختلف المؤرخون في سنة وفاة أبي الفرج الأصفهاني، فقد روى أبو نعيم الأصبهاني أنه رأى أبا الفرج في بغداد، وجعل وفاته سنة ٣٥٧ هـ [١]. أما الخطيب البغدادي [٢] فقد ذكر ما قاله أبو نعيم، ثم نقل عن محمد بن أبي الفوارس أنه توفي يوم الأربعاء لأربع عشرة خلون من ذي الحجة سنة ٣٥٦ هـ [٣] وأن مولده كان سنة ٢٨٤ هـ. ثم قال: وهذا هو القول الصحيح في وفاته. ونقل ياقوت قول أبي الفوارس من تاريخ ابن الخطيب وعلق عليه بقوله: «وفاته هذه فيها نظر وتفتقر إلى التأمل» [٤]. وذكر أنه وجد في كتاب أبي الفرج «أدب الغرباء» ما يدل دلالة قاطعة أنه كان حياً سنة ٣٦٢ هـ [٥]. أما ابن النديم فقال إنه توفي في سنة نيف

---

(١) مجلة المجمع العلمي بدمشق م ٨ ج ٣ آذار ١٩٢٨.
(٢) تاريخ أصبهان ٢/٢٢
(٣) تاريخ بغداد ١١/٤٠٠
(٤) معجم الأدباء ١٣/٩٦ ـ ٩٧.
(٥) أدب الغرباء ٨٨.

وستين وثلثمائة [1]. كل هذا يدل على أن خلافاً ما كان يدور بين المؤلفين حول هذا الأمر.

والحقيقة أن كتاب «أدب الغرباء» يسهم في إلقاء الضوء على هذه القضية. ففي القصة ٦٤ يقول أبو الفرج «كنت في أيام الشبيبة والصبا، ألفت فتى من أولاد الجند، في السنة التي توفي فيها معز الدولة» ومن المعروف أن معز الدولة توفي سنة ٣٥٦ هـ [2] وفي القصة رقم ٦٧ يقول: «حدثني صديق لي قال: قرأت على القصر الذي بناه معز الدولة بالشماسية.. يقول فلان بن فلان الهروي: حضرت في هذا الموضع في سماط معز الدولة، والدنيا مقبلة عليه، وهيبة الملك عليه مشتملة، ثم عدت إليه في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فرأيت ما يعتبر به اللبيب».

وفي هاتين الروايتين ما يجعلنا نثق بقول ابن النديم أن أبا الفرج توفي سنة نيف وستين وثلاثمائة، لا بل نجزم أنه توفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة.

---

(١) الفهرست ١٧١.

(٢) في الخبر ما يدعو إلى التأمل، إذ كيف يكون أبو الفرج في أيام الصبا سنة ٣٥٦ هـ علماً ان البغدادي نقل عن ابن أبي الفوارس انه ولد سنة ٢٨٦ هـ، فاما ان يكون أبو الفرج كاذباً أو ان تاريخ ولادته غير صحيح وهم فيه ابن أبي الفوارس.

الفصل الثالث
مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني

اشتهر أبو الفرج الأصبهاني في عصره بسعة العلم والرواية وكثرة الحفظ، وحسن الإستيعاب والدراية، فكان بذلك موضع تقدير تلامذته ومعاصريه، ومثار تعجبهم واستغرابهم، وقد عبر عن ذلك أحدهم فيما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه فقال: «حدثني التنوخي عن أبيه قال: ومن الرواة المتّسعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني، فإنه كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والحديث المسند والنسب ما لم أرَ قط من يحفظه مثله، وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء، ويحفظ دون ما يحفظ منها علوماً أُخر منها اللغة والنحو والخرافات والسِّير والمغازي، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك»[1]

وقد كان لهذه الثقافة الموسوعية الشاملة أثر كبير جداً في تنوع إتجاهاته في تأليف كتبه، واختلاف مضامينها وألوانها، فشملت

---

(١) تاريخ بغداد ١١ / ٣٩٩ .

الأدب والنقد والموسيقى والغناء والتاريخ والأيام والأنساب والحديث، إذ كان لكل فن من هذه الفنون نصيب في كتبه وآثاره، كما كان لها أثر واضح في كل كتاب منها أيضاً.

ولم يعن أصحاب التراجم القدامى بذكر قائمة كاملة بأسماء مؤلفات أبي الفرج فمنهم من عدّ المشهور منها[1] ومنهم من اكتفى بذكر ما رآه[2]، ومنهم من اقتصر على عدد قليل منها[3]. كما ان منهم من استغنى عن ذلك كله بالإشارة إلى كثرة تآليفه وكتبه[4]. ولعل أوسع قائمة باسماء هذه الكتب تلك التي ذكرها ياقوت الحموي في معجمه، إذ عدّ فيها اسماء خمسة وعشرين كتاباً[5]

وبالرجوع إلى المصادر المطبوعة والمخطوطة والمراجع، وإلى مؤلفات الأصفهاني التي وصلت الينا والتي ذكر فيها أسماء بعض من تصانيفه فيها أمكننا الحصول على قائمة بمؤلفات أبي الفرج تضم أربعة وثلاثين كتاباً من الكتب التي صحّت نسبتها إليه. وهي التالية مرتبة وفقاً للترتيب الهجائي.

---

(١) الفهرست ص ١٧٢ ـ ١٧٣، تاريخ بغداد ١١/٣٩٨، وفيات الأعيان ٣/٣٠٧ـ٣٠٨.

(٢) يتيمة الدهر ٣/٩٦.

(٣) أنظر مثلاً المختصر ٣/١٣٦، مرآة الجنان ٢/٣٦٠، مفتاح السعادة ١/١٨٥.

(٤) لسان الميزان ٤/٢٢١، النجوم الزاهرة ٤/١٥

(٥) معجم الأدباء ١٣/٩٩ ـ ١٠٠

أولاً : الكتب المطبوعة

١ ـ أدب الغرباء

سماه ابن النديم: «أدب الغرباء من أهل الفضل والأدب»[١]، وورَد عند الخطيب البغدادي باسم «آداب الغرباء»[٢]، وذكره ياقوت باسم «أدب الغرباء» مرة، و«آداب الغرباء» أخرى[٣]. والواضح من نصوص الكتاب أن أبا الفرج ألّف كتابه هذا وقد تقدمت به السن. فآخر خبر مؤرخ فيه وقع في سنة ٣٦٢ هـ، فيكون قد كتب كتابه بعد هذا التاريخ. ويبدو من مقدمة الكتاب ان أزمة نفسية حادة، من القلق والكرب والشكوى، والفراغ والعزلة، أصابت أبا الفرج فدفعته إلى تأليف كتابه فهو يقول:[٤]

«أما بعد فإن أصعب ما ناب به الزمان، ولقي من عمره الإنسان، عوارض الهم ونوازل الغم. . . وحدوثهما يكون باسباب أتمها حالاً في السؤرة، وأعلاها درجة في القوة، تغيّر الحال من سعة إلى ضيق، وزيادة إلى نقصان، وعلو إلى انحطاط . . . وربما قاد الفراغ إلى التشاغل بغير مهم، ودعا التفرد إلى مقاربة النغص، وحملت الحاجة إلى تورط الحتوف وسهلت المحن ركوب كل مخوف. والذي بي من تقسم القلب وجرح الصدر، يسوماني إلى ما ذكرته، ويبعثاني إلى

---

(١) الفهرست ١٧٣.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٨.

(٣) معجم الأدباء ١٣/ ٩٩.

(٤) أدب الغرباء ص ٢١.

مثل ما قدمته. فأشغل نفسي في بعض الأوقات بالنظر في أخبار الماضين وأحاديث السالفين»

إذاً كانت تلك الأزمة النفسية التي تقسّم بها قلبه، هي التي دفعته إلى التشاغل في النظر بأخبار الماضين. ولكن ما الذي دفعه إلى جمع أخبار الغرباء؟ إن الجواب نجده عند أبي الفرج بالذات فهو يقول:

«ولقد جمعت في هذا الكتاب ما وقع اليّ وعرفته، وسمعت به وشاهدته من أخبار من قال شعراً في غربة، ونطق عما به من كربة، وأعلى الشكوى بوجده، من كل مشرّد عن أوطانه، ونازح الدار عن إخوانه، فأرى الحال تدعو إلى مشاكلتهم وحيف الزمان يقود إلى التحلي بسمتهم»

فلكأن أبا الفرج أحسّ أنه أصبح غريباً، وحيداً، نزلت به الهموم واكتنفته الكروب والغموم، ورأى ان حاله كحال أولئك الغرباء المشردين عن الأوطان، البعيدين عن الإخوان، فجمع أخبارهم، ولعله اتخذ من هذه الأخبار وسيلة للتأسي والسلوة والترويح عن النفس، وأضاف إليها ذكريات خاصة بعيدة وقريبة، فجاء الكثير من هذه الذكريات الأخبار مملوءاً بالحياة.

وموضوع الكتاب أصيل، فلم يسبق أحد من القدامى إلى جمع مثل هذه الأخبار والأشعار، وان كنا نجدها مفرقة في كتب الأدب. كما ان معظم أخباره لا توجد في مصادر أخرى، الاّ القليل المعدود منها، وما نجده في هذه الكتب، معظمه منقول عن أبي الفرج.

وإلى جانب ما نجد في هذا الكتاب من مجموعة غنية من

العواطف الإنسانية التي تثيرها الغربة أو الفراق: من حنين ولوعة، وشكوى وعذاب، وتلهُّف وأماني، مسطَّرة في بلدان الدنيا، المتباعدة، على الحيطان والجدران، فهو يقدم لنا من خلال بعض نصوصه أضواء جديدة على حياة أبي الفرج، سواء في اتصاله ببعض معاصريه، أو في حياته وعمره.

وقد عثر الدكتور صلاح الدين المنجد على مخطوطة فريدة منه، اهداه صورة عنها عميد كلية الإلهيات في جامعة طهران سنة ١٩٦٥، فقام بأمر تحقيقها وطبعها (دار الكتاب الجديد. بيروت ١٩٧٢). ويقع الكتاب المطبوع في ١١٨ صفحة تشتمل على المتن والحواشي والمقدمة والفهارس، واصل الكتاب منها ثمانون صفحة مع الحواشي والتعليقات، تتضمن مقدمة أبي الفرج، وستة وسبعين خبراً من أخبار الغرباء وأشعارهم.

٢ ـ الأغاني: وسنختصه بدراسة تحليلية منفصلة

٣ ـ الإماء الشواعر: ذكره ابن النديم باسم «أشعار الإماء والمماليك» [١] وورد عند الثعالبي باسم «الإماء الشواعر» [٢] وأشار إلى انه رآه. أما الخطيب البغدادي فقد ذكره باسم «أخبار الإماء الشواعر» [٣]. وبهذا الإسم ورد عند القفطي وابن واصل وابن خلكان والصفدي والسخاوي وكشف الظنون. أما صاحب مفتاح

---

(١) الفهرست ص ١١٣.

(٢) اليتيمة ٣/٩٦.

(٣) تاريخ بغداد ١١/٣٩٨.

السعادة فقد ذكره باسم «الإماء الشواعر» وكذلك ورد إسمه عند ياقوت وذكر بعده كتاباً آخر لأبي الفرج هو «المماليك الشعراء»[1] .

وعلى هذا فان لنا ان نفترض في هذا الكتاب افتراضين: احدهما ان الكتابين في الأصل كتاب واحد كما ورد اسمه عند ابن النديم، ثم انقسم هذا الكتاب بعد ذلك إلى جزئين منفصلين أو كتابين مختلفين منذ وقت مبكر جداً يعود إلى أيام الثعالبي (- ٤٢٩ هـ) الذي صرح بأنه رأى أحدهما. أما الافتراض الثاني: فهو ان الكتابين منفصلان في الأصل وذكرهما ابن النديم مما يجامع الأشعار بينهما. ومما يقوي صحة هذا الافتراض اننا نجد لأبي الفرج بعض الكتب على هذا النحو كأخبار القيان وأخبار المغنين.

وقد حقق هذا الكتاب جليل العطية إعتماداً على مخطوطة تحمل عنوان: ري الظمأ فيمن قال الشعر من الإماء منسوبة إلى ابن الجوزي، عثر عليها أثناء زيارته لتونس سنة ١٩٨١. وبعد أن درس المخطوطة تبين له انها نسخة من كتاب الإماء الشواعر. وإلى جانب هذه النسخة اعتمد على نسخة ثانية تحتفظ بها دار الكتب المصرية وقد نشر هذا الكتاب في بيروت ١٩٨٤

٤ ـ كتاب القيان:

أقدم ذكر لكتاب القيان نجده لدى أبي الفرج نفسه. فقد ذكره في

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ٩٩ وكذلك أنباء الرواة ٢/ ٢٥٢، تجريد الأغاني ١/ ٥، وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٧ الاعلان بالتوبيخ ١٠٤، كشف الظنون ١/ ١٦١.

كتاب «الإماء الشواعر» أثناء ترجمتي نبت (الفقرة ١٠٩) وبدعة الكبرى (الفقرة ١١٤). وقد ذكره الثعالبي والخطيب وياقوت الذي سماه «أخبار القيان» والسخاوي الذي أشار إلى انه يقع في مجلّدين.

ولم يذكره صاحب كشف الظنون. وانما ورد عنده ذكر لكتاب آخر باسم «نزهة الملوك والأعيان في أخبار القيان والمغنيات الدواخل الحسان». وقال ان «أوله: بحمد الله والثناء عليه افتتح كل قول عند ابتدائه.. وهو مشتمل على لطائف مستحسنة وأخبار مستظرفة من أخبار القيان قديمهن وحديثهن، وشرح أحوالهن»[1] ومن الواضح ان هذا الكتاب هو كتاب القيان أو أخبار القيان نفسه ومما يقوي ذلك ان المؤلف لم يذكر له كتاباً بأحد هذين الاسمين. وأن اسمه الذي ورد عليه عند ياقوت «أخبار القيان» قد اشتمل عليه ما أورده صاحب الكشف من مقدمته. كما أن هذه المقدمة تدل على انه ذات الكتاب الذي ذكره السخاوي. وأشار إلى أنه يقع في مجلدين. كذلك فإن أحداً غير صاحب كشف الظنون لم يذكر لأبي الفرج كتاباً بهذا الإسم. مما يدعو إلى الاعتقاد بأن هذه التسمية متأخرة تعود إلى عصر حاجي خليفة نفسه، وقد صنعها الوراقون ليدلوا بها على صفة الكتاب بشكل واضح.

من الكلمات القليلة التي حفظها لنا حاجي خليفة من المقدمة

---

(١) انظر: يتيمة الدهر ٣/٩٦، تاريخ بغداد ١١/٣٩٨، معجم الأدباء ١٣/٩٩، أنباء الرواة ٢/٢٥٢ وفيات الأعيان ٣/٣٠٨، تجريد الأغاني ١/٥، الاعلان بالتوبيخ ١٠٦، كشف الظنون ٢/١٩٤٧.

نعرف ان الكتاب يشتمل على لطائف وأخبار، وعبارة قد يمهن تعني انه يتناول القيان اللائي اشتهرن في العصر الأموي، وحديثهن تعني اللواتي عشن في العصر العباسي وبالمقارنة مع كتابه الإماء الشواعر يتبين ان كتاب الإماء تضمن أخبار الجواري اللائي عرفن بنظم الشعر، بينما تضمن كتاب «القيان» أخبار الجواري المغنيات. ولما كان فنهن قد جمع بين الغناء والشعر، لهذا فإن أبا الفرج كرّر ذكر بعضهن في كتابيه وحتى في كتبه الأخرى. كما اشتمل الكتاب على ذكر أخبار القيان في العصرين الأموي والعباسي، بينما اقتصر كتاب الاماء الشواعر على ذكر اماء العصر العباسي من الشواعر فقط. هذا وتضمن كتاب القيان ذكر المعاصرات للمؤلف، كما تضمن بعض شعره، وهذا ما زاد في قيمته العلمية والأدبية.

ويذكر جليل العطية. انه بعد يأسه من العثور على نسخة مخطوطة من كتاب القيان، قرّر جمع النصوص الميسرة منه وفق المنهج التالي:

- اتخذ كتب أبي الفرج عموماً، والإماء الشواعر خصوصاً أساساً لعملية الجمع هذه بالنسبة إلى المصادر التي لم تصرّح بالنقل عنه. وجامع النصوص يذكر على سبيل المثال ان ابن عساكر لم ينص صراحة على إسم كتاب القيان، غير انه اكتفى بذكر: قرأت في كتاب أبي الفرج علي بن الحسين. وعندما طابق هذه النصوص مع الأغاني والإماء الشواعر لم يجدها فيهما، وهكذا تأكد له انها منقولة من كتاب القيان أو رجّح ذلك على الأقل [1].

---

(١) مقدمة جليل العطيه لكتاب القيان ص ٣٨.

ومن تتبعه لبعض النصوص لاحظ ان بعض المؤلفين نقلوا من كتاب القيان بعد حذف اسمه وبعض رجال السند. وهو يذكر من بين هؤلاء مثلا ابن الجوزي، ابن الساعي، الشيزري الخ.. ويضيف انه بعد جهد استغرق وقتاً طويلاً وبعد مراجعة الكثير من المصادر المخطوطة والمطبوعة تمكن من جمع تراجم وأخبار أربعين قينة من المصادر الآتية: ابن عساكر ١٠، بدائع البدائع ٦، الأغاني ٥، مسالك الأبصار ٢، الإماء الشواعر ٢، روضة القلوب ٢، المذاكرة في القاب الشعراء ١، الفرج بعد الشدة١، الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين ٢، الوافي بالوفيات ٢، نساء الخلفاء ٢، تحفة العروس ١، معجم البلدان ١، التحف والهدايا ١، ذم الهوى ١.

كما عمد إلى ترتيب هذه النصوص مجتهداً أسلوب المؤلف في ترتيب الإماء الشواعر، أي دون مراعاة التسلسل الزمني، فقد رتب أخبار القيان وفق «أقدارهن»

صدر كتاب القيان بنصوصه هذه المجموعة على هذا النحو عن دار رياض نجيب الريس ـ لندن ١٩٨٩

٥ ـ مقاتل الطالبين:

سماه ابن النديم «مقاتل آل أبي طالب» [١] بينما سمّاه الشيخ المفيد «مقاتل الطالبيين» [٢] وحملت النسخ المطبوعة من هذا

(١) الفهرست ١٢٨.

(٢) الإرشاد ٢٥٣

الكتاب هذا العنوان أيضاً «وفيه يظهر تشيّعه، يقول في المقدمة (من ٤ - ٥): ونحن ذاكرون في كتابنا هذا، إن شاء الله وأيد منه بعون وإرشاد، جملاً من أخبار من قتل من ولد أبي طالب منذ عهد رسول الله ﷺ، إلى الوقت الذي ابتدأنا فيه هذا الكتاب، وهو في جمادى الأولى سنة ٣١٣ للهجرة، ومن احتيل في قتله منهم بسم سقيه، وكان سبب وفاته، ومن خالف السلطان وهرب منه فمات في تواريه، ومن ظُفر به فحبس حتى هلك في محبسه، على السياقة لتواريخ مقاتل من قتل منهم، ووفاة من توفّي بهذه الأحوال لا على قدر مراتبهم في الفضل والتقدم إلخ».

وقد ترجم أبو الفرج في هذا الكتاب لنيّف ومائتين من شهداء الطالبيين منذ عهد الرسول ﷺ إلى الوقت الذي انتهى فيه من تأليفه. وذكر في مقدمة هذا الكتاب انه بدأ في تأليفه في شهر جمادى الأولى من سنة ٣١٣ هـ (١) وقال في آخر صفحة انه انتهى من ذلك في هذا الشهر من السنة نفسها أيضاً (٢) على ان ذلك لا يعني انه قد جمع مادة هذاالكتاب الطويلة خلال الفترة الزمنية القصيرة، إذ هي حصيلة جهد طويل يبدأ مع أوائل عهد مؤلفه بالطلب والتحمّل (٣) وينتهي بانتهاء تأليفه.

وبالامكان القول ان مقاتل الطالبيين هو أوّل كتاب ألّفه الأصبهاني

---

(١) مقاتل الطالبيين ص د.

(٢) ن.م ص ٧٢١.

(٣) «وكان طلبه في حدود الثلاثمائة» كما يقول ابن حجر في لسان الميزان ٢٢١/٢.

في حياته، إذ لا نجد له كتاباً آخر قبله. على اننا نجد في هذا الكتاب بعض الاحالات على كتاب آخر من كتبه دعاه باسم: الكتاب الكبير»[1]. مما يمكن ان يوهم ان الكتاب المذكور سابق في تأليفه للمقاتل، بيد ان مرد اللبس في ذلك، على ما يظهر، يعود إلى ان المؤلف، على عادة القدماء، قد أملى المقاتل عدة مرات في حياته، وبعد ان ألّف كتباً اخرى غيره، فكانت هذه الإحالات بعد ذلك على واحد منها. وقد ظن محقق الكتاب احمد صقر أن أبا الفرج يقصد بالكتاب الكبير كتاب الأغاني دون أن يجد فيه أثراً لأي منها مطلقاً، فاتخذ من ذلك دليلاً على ما أصاب الأغاني من خلل ونقص واضطراب [2]. بيد ان المظنون بالكتاب الكبير، كتاب آخر غير الأغاني، ككتاب «مجموع الآثار والأخبار» أو «كتاب التعديل والانتصاف» الذي يمكن أن يكون أكبر مؤلفاته حجماً وأجدرها بهذه الصفة.

كان هذا الكتاب من المصادر التي عوّل عليها ابن أبي الحديد في كتابه: شرح نهج البلاغة وقد طبع لأول مرة في طهران سنة ١٣٠٧ هـ. ثم نشر بعد ذلك وبهامشه كتاب «المنتخب في المراثي والخطب» لفخر الدين النجفي في بومباي بالهند سنة ١٣١١ هـ، ثم طبع في النجف بالعراق سنة ١٣٥٣ هـ. ثم نشر بتحقيق أحمد صقر (القاهرة ١٩٤٩) وهذه الطبعة هي المعتمدة لدى المحققين. ثم صدر مصوراً عن دار المعرفة ودار إحياء العلوم في بيروت. د.ت.

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٩٨ و٦١٦.

(٢) مقدمة المحقق أحمد صقر صفحة (ص).

ثانياً: الآثار المخطوطة:

١ ـ قصيدة في رثاء الديك: انفرد بذكرها ابن الإشبيلي، وذكر انه تناولها عن شيوخه إجازة ووصفها بأنها غريبة. وأورد ياقوت بعض ابياتها منها:

أبكي أذا أبصرت ربعك موحشاً ... بتحنن وتأسف وشهيق
ويزيدني جزعاً لفقدك صادح ... في منزل دانٍ اليّ لصيق

وهذه القصيدة تقع في ٤٠ بيتاً. ويذكر جليل العطية في تقديمه لكتاب القيان (ص ٣١) انه عثر على نسخة فريدة منها في مكتبات استانبول وانه يقوم بتحقيقها تمهيداً لطبعها.

٢ ـ كتاب الخمارين والخمارات: ذكره ابن النديم وياقوت بهذا الاسم. أما الخطيب البغدادي والقفطي وابن واصل فقد ورد عندهم باسم: الحانات، ولم يذكروا الخمارين والخمارات، مما يدل على انه المقصود، وان عنوانه قد تغيّر عند أولهم، اي الخطيب، فتابعوه على ذلك، إذ كانوا يقولون عن تاريخه في تآليفهم إن معنى العنوانين واحد، ولعله كتاب الخمارين نفسه(١).

ويقول الزركلي (٢): ان السيد أحمد عبيد من دمشق كتب له أنه

---

(١) انظر على التوالي: الفهرست ١٧٣، معجم الأدباء ١٣/ ٩٩، تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٨ تجريد الأغاني ١/ ٥، وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٨، مرآة الجنان ٢/ ٣٥٩.

(٢) الاعلام ٤/ ٢٧٨.

وقعت ... سبع ورقات مخطوطة من أول كتاب «الخمارين والخمارات» لأبي الفرج. ويردف قائلاً انها انتقلت بالشراء إلى مكتبة حسن حسين عبد الوهاب. غير ان فهرس «رصيد مكتبة حسن حسين عبد الوهاب» الذي أعدّه عبد الحفيظ منصور تونس ١٩٧٥ لم يذكرها مما يبين ان المخطوطة مفقودة.

ثالثاً: الكتب المفقودة

١ ـ أخبار جحظة البرمكي: ذكره الثعالبي وقال انه رآه [١] كما ذكره ياقوت وابن خلكان وحاجي خليفة [٢].

٢ ـ أخبار الطفيليين: ذكره ابن النديم [٣] وياقوت [٤] ومنه اقتباسات في كتاب التطفيل للخطيب البغدادي [٥].

٣ ـ الأخبار والنوادر: ذكره ابن النديم [٦] وياقوت.

٤ ـ أدب السماع: ذكره ابن النديم وياقوت [٧].

٥ ـ أيام العرب: ذكره الخطيب البغدادي باسم: «أيام العرب

---

(١) يتيمة الدهر ٣/٩٦.
(٢) معجم الأدباء ١٣/١٠٠، وفيات الأعيان ٣/٣٠٨، كشف الظنون ١/٢٦.
(٣) الفهرست ص ١٧٣.
(٤) معجم الأدباء ١٣/٩٩.
(٥) انظر نشرة الدكتور عسيلان ـ جدة ١٩٨٧ الصفحات ٦١، ٨٩، ٩٨، ١٠٨ الخ...
(٦) الفهرست ١٧٣، معجم الأدباء ١٣/٩٩.
(٧) المصدران السابقان ـ الصفحة نفسها.

ومثالبها»[1] . وورد عند ابن الجوزي والقفطي وابن كثير وابن خلكان وحاجي خليفة باسم «أيام العرب» وأشاروا جميعاً إلى انه يشتمل على ألف وسبعمائة يوم[2] ويعتقد ان التسمية التي وردت عند الخطيب غير صحيحة لما يعرف من هجوم أبي الفرج العنيف على أصحاب المثالب[3] . وهو من الكتب التي أنفذها أبو الفرج إلى ملوك وأمراء الأندلس .

٦ ـ تحف الوسائد في أخبار الولائد : ذكره النويري [4] وحاجي خليفة[5] وعنه نقل صاحب هدية العارفين [6] .

٧ ـ التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها : وهو من الكتب التي ذكرها أبو الفرج نفسه في أربعة مواضع من الأغاني فقد قال أبو الفرج في أخبار خالد القسري : «وكان قوم من سحمة عرضوا لجار أسد (جد خالد) فأوقع بهم أسد . . فقال القتّال فيه عدة قصائد . . ولم أذكرها هنا لطولها ، وان ذلك ليس الغرض المطلوب في هذا الكتاب ، وإنما نذكر هاهنا لُمعاً ، وسائره مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه انسابها وأخبارها ، وسميته : التعديل

---

(١) تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ .

(٢) انظر على التوالي : المنتظم ٧/٤٠ ، أنباء الرواة ٢/٢٥٢ ، البداية والنهاية ١١/٢٦٣ وفيات الأعيان ٣/٣٠٨ ، كشف الظنون ١/٢٠٤ .

(٣) الأغاني ٢٠/٧٥ ـ ٧٧ .

(٤) نهاية الأرب ٥/٩٨ .

(٥) كشف الظنون ١/٣٦٠ .

(٦) هدية العارفين ١/٦٨١ .

والانتصاف. ولبني سحمة يقول أسد.. وهي قصيدة طويلة. ولأسد أشعار كثيرة ذكرت هذه منها ها هنا، وسائرها يذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل ان شاء الله»[1]. فهذه ثلاثة مواضع يرد فيها ذكر هذا الكتاب على لسان أبي الفرج نفسه، اثنان منها بصفته، والثالث باسمه وعنوانه. أما الموضع الرابع فقد ورد في معرض حديثه عن نسب أبي قطيفة فقال: «وقد شرحت ذلك في كتاب النسب شرحاً يستغنى به عن غيره»[2].

فهذه النصوص تؤكد، دون لبس أو غموض، اننا أمام كتاب واحد أسماه مؤلفه باسم التعديل والانتصاف، وذكره بصفته فقال عنه انه يشتمل على جمهرة انساب العرب، وأنه: كتاب النسب، دالاًّ بذلك على جزء هام من مضمونه ومنهج تأليفه وبنائه.

وقد توهم معظم القدماء، وجميع من ذكر هذا الكتاب من المعاصرين، في حقيقته وأصله، إذ جعلوا منه كتابين أو ثلاثة كتب، تذكر على انها مختلفة. وتغيّر اسمه وعنوانه مرات عديدة، فصحف أو حرّف أو بدّل أو ذيّل بذيول غريبة.

لا نجد ذكراً لهذا الكتاب لدى ابن النديم ضمن القائمة التي قدّمها بكتب أبي الفرج[3] وكذلك لم يذكره الثعالبي فيما ذكر من كتبه التي رآها[4].

---

(١) الأغاني ٢٢/٣ ـ ٤.

(٢) الأغاني ١/١٤.

(٣) الفهرست ص ١٧٣.

(٤) يتيمة الدهر ٣/٩٦.

أما الخطيب البغدادي فقد ذكره بصفته التي ذكرها أبو الفرج في الأغاني فورد عنده باسم «كتاب جمهرة النسب» وقال انه «من الكتب التي لم تقع الينا»[١] ، وعدّه ضمن قائمة الكتب التي قال ان الأصفهاني كان يؤلفها للأمويين في الأندلس، ويبعث بها سراً إليهم. الّا ان في حديث أبي الفرج نفسه عن هذا الكتاب ما يدل على وجود نسخ منه بأيدي الناس في عصره.

وانقسم الكتاب في معجم ياقوت إلى كتابين مختلفين، في القائمة التي قدمها باسماء عدد من كتب الأصبهاني، وهما: «كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأشعارها» وقال عنه «ولم اره، بودي لو رأيته، ذكره أبو الفرج في الأغاني» ثم أورد بعده[٢] كتاب «جمهرة النسب» على انه كتاب آخر من كتبه، ويبدو انه نقله عن الخطيب البغدادي.

وتغيّر اسم هذا الكتاب عند القفطي فأصبح «التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها». وذكر أيضاً كتاب «جمهرة النسب» على انه كتاب آخر غير التعديل، [٣]، وكذلك فعل ابن خلكان في الوفيات[٤] .

---

(١) معجم الأدباء ١١/ ٣٩٨.

(٢) معجم الأدباء ١٣/ ٩٨ .

(٣) أنباء الرواة ٢/ ٢٥٢.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٨.

أما ابن واصل الحموي فقد ذكره باسم: «التعديل والانتصاف في مآثر العرب» وذكر له أيضاً «كتاب جمهرة النسب»[1] .

أما حاجي خليفة فقد دعاه باسم: «التعديل في مآثر العرب وأمثالها» وذكر له أيضاً «كتاب جمهرة النسب»[2].

أما المعاصرون فقد ذكروا هذا الكتاب على إحدى الصور التي ورد عليها في كتب الأقدمين، فاختلفت اسماؤه باختلاف المصادر التي نقلت منها، وتعددت عناوينه، وتحول إلى كتابين أو ثلاثة كتب مختلفة[3] ، الا ان بروكلمان من بينهم يسميه باسم «التعديل والانتصاف في معايب العرب ومثالبها» مشيراً إلى انه ورد كذلك في تاريخ الخطيب البغدادي، علماً ان الخطيب لم يذكر هذا الكتاب إطلاقاً، كما لا نجد له ذكراً بهذا الاسم عند غيره من المؤلفين الذين وقفنا على مصنفاتهم وتآليفهم [4] .

أما مضمون الكتاب ومحتوياته فاننا نستطيع ان نثبتها من خلال ما ذكره أبو الفرج عنه، إذ أشار إلى أنه جمع فيه جمهرة أنساب قبائل العرب وشعرائهم وقصائدهم وأيامهم. وعلى ذلك فإنه ينبغي ان يكون مبنياً على أساس قبلي وإقليمي في منهجه العام. ومما لا شك

---

(١) تجريد الأغاني ١/٥ .

(٢) كشف الظنون ١/٤١٩ .

(٣) انظر مقدمة الأغاني ١/٣١، أبو الفرج الأصبهاني لشفيق جبري ص ٢١ ـ ٢٢ ، وللأصمعي ١٥٩ ودراسة في مصادر الأدب ١/١٥٨.

(٤) تاريخ الأدب العربي ٣/٧٠.

فيه انه يتضمن حديثاً طويلاً عن النسب والنسّابين وما قيل فيهم من أقوال وأحاديث. وعلى ذلك نقدر ان حجم هذا الكتاب كبير جداً يفوق حجم الأغاني بكثير، وانه يتضمن قصائد شعراء القبائل كاملة، إذ كان قوله يوحي بذلك حين قال: «ولم أذكرها هنا لطولها، وان ذلك ليس الغرض المطلوب في هذا الكتاب، وإنما نذكر هاهنا لمعاً، وسائره مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابها وأخبارها وسميته: التعديل والانتصاف».

٨ ـ تفضيل ذي الحجة: ذكره ابن النديم [١] وياقوت[٢] والخوانساري [٣].

٩ ـ الحانات: ذكره الخطيب البغدادي[٢] ولعله كتاب الخمارين والخمارات الوارد ذكره.

١٠ ـ دعوة الأطباء: ذكره ابن خلكان[٣].

١١ ـ دعوة النجار: أشار إليه الثعالبي وقرّر انه رآه[٤] كما ذكره ياقوت أيضاً[٥] وورد عند اليافعي وحاجي خليفة مصحفاً باسم: دعوة التجار[٦]

---

(١) الفهرست ١٧٣، معجم الأدباء ١٣/٩٩، روضات الجنات ٥/٢٢٣.
(٢) تاريخ بغداد ١١/٢٩٨
(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٠٨.
(٤) اليتيمة ٣/٩٦.
(٥) معجم الأدباء ١٣/١٠٠
(٦) مرآة الجنان ٢/٣٥٩، كشف الظنون ١/٧٥٦.

١٢ ـ الديارات: ذكره صاحب الفهرست واليتيمة ومعجم الأدباء[١] ومنه اقتباسات في معجم البلدان (مادة دير). وعوّل عليه العمري في تأليف الجزء الأول من مسالك الأبصار والخاص بالأديرة.

١٣ ـ ديوان يزيد بن الطثرية: لم يذكره أحد من القدماء أو المعاصرين مع كتب أبي الفرج التي يذكرون باستثناء ابن خلكان الذي قال أثناء ترجمته يزيد بن الطثرية: «وكان أبو الفرج الأصبهاني قد جمع شعر يزيد بن الطثرية أيضاً في ديوان»[٢]، وقال في موضع آخر من هذه الترجمة: «وقال أبو الفرج الأصبهاني في أول الديوان الذي جمعه من شعر يزيد بن الطثرية ان بني حنيفة قتلته في خلافة بني العباس»[٣]. وقد ذكر أبو الفرج من خبر مقتل يزيد في الأغاني ما يؤكد قول ابن خلكان[٤] ويبدو ان هذا الديوان يشتمل على مقدمة ضمنها أبو الفرج أخبار هذا الشاعر على طريقته المعروفة في سرد أخبار الشعراء في الأغاني. غير ان ابن خلكان لم يذكر هذا الديوان أو المجموع مع ما ذكره من كتب أبي الفرج اثناء ترجمته له[٥].

١٤ ـ رسالة في علل النغم: ذكرها أبو الفرج نفسه، وهي رسالة ردّ فيها على شيخه أبي أحمد يحيى بن علي المنجم حول صوت مختلف

---

(١) الفهرست ١٧٣، يتيمة الدهر ٣/٣٠٨، معجم الأدباء ١٣/٩٩.

(٢) وفيات الأعيان ٦/٣٦٩.

(٣) المصدر نفسه ٦/٣٧٤.

(٤) الأغاني ٨/١٨٠ ـ ١٨٣.

(٥) وفيات الأعيان ٣/٣٠٧ ـ ٣٠٨.

في لحنه وايقاعه فقال: «إذ كان استقصاء شرحها طويلاً، وقد ذكرته في رسالة إلى بعض إخواني في علل النغم، وشرحت هناك العلة في ان قسّم الغناء إلى قسمين»[1]، وقال في موضع آخر.

«وشرحت العلل مبسوطة في كتاب ألّفته في النغم»[2]. وورد ذكر هذه الرسالة في موضع آخر من الأغاني أيضاً. وكان أبو الفرج في هذه المواضع كلها يتحدث عن أمر واحد، ويرد على شيخه كما ذكرنا في رسالة له في النغم[3].

ولم يذكر أحد من القدماء هذه الرسالة ضمن ما ذكروه من مؤلفات أبي الفرج. وتوهم المعاصرون في أمرها[4]، فجعلوا منها كتابين أو رسالتين، احداهما في النغم والأخرى في الأغاني.

١٥ ـ كتاب الغلمان المغنين: ذكره الخطيب البغدادي وياقوت والقفطي وحاجي خليفة الذي اكتفى باسم «كتاب الغلمان»[5]، وورد عند السخاوي باسم «أخبار المغنين المماليك» كما ذكره اليافعي باسم «المغنين الغلمان»[6]، وقد ألف أبو الفرج هذا الكتاب للوزير المهلبي.

---

(١) الأغاني ٨/٣٧٤.

(٢) الأغاني ١٠/٩٧.

(٣) الأغاني ٨/٣٧٤.

(٤) مقدمة الأغاني ١/٣١، رنات المثالث والمثاني ١/١٣، دراسة كتاب الأغاني ص ٧.

(٥) تاريخ بغداد ١١/٣٩٨، معجم الأدباء ١٣/١٠٠، أنباء الرواة ٢/٢٥٢، كشف الظنون ٢/١٤٤٢.

(٦) مرآة الجنان ٢/٣٦٠.

١٦ ـ الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار: ذكره ابن النديم في عبارة غامضة على هذه الصورة «كتاب الفرق والمعيار وهي رسالة في هارون بن المنجم بين الأوغاد والأحرار»[١] . وفي موضع آخر من الفهرست نقرأ اثناء ترجمة علي بن هرون المنجم قول ابن النديم: «وله كتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط، وهو معارضة عن كتاب أبي الفرج الأصبهاني: الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار»[٢] . هذا النص يؤكد ان كتاب أبي الفرج موجه أساساً إلى علي بن هرون المنجم (٢٧٧ ـ ٣٥٢ هـ)، وهو أحد معاصري الأصبهاني ومن زملائه في ندوة الوزير المهلبي، وكان أديباً شاعراً عارفاً بالغناء وله عدة تصانيف فيه، وقد روى أبو الفرج عنه رواية واحدة لا غير في الأغاني[٣] .

أما هرون ابنه، فكان مثله في الأدب والشاعرية والاهتمام بالغناء. وقد ذكر له ابن النديم من الكتب مختاراً في الأغاني، وهو أحد معاصري أبي الفرج ايضاً[٤] . ويبدو ان نوعاً من الصراع والتنافس كان قد وقع بين أبي الفرج وآل المنجم، فأدى إلى نشوب خلاف قوي بينهم، كانت ثمرته هذه الكتب الثلاثة : صفة هرون، والفرق والمعيار، واللفظ المحيط.

---

(١) الفهرست ١٧٣.

(٢) الفهرست ٢١٣.

(٣) الأغاني ١٩/٣٠٧.

(٤) الفهرست ٢١٣.

١٧ ـ كتاب ما نزل في القرآن في أمير المؤمنين وأهل بيته: ذكره الطوسي[١].

١٨ ـ مجرد الأغاني: ذكره الأصبهاني نفسه في الأغاني مرات عديدة ومن ذلك قوله في مقدمته: «ولم يستوعب كل ما غني به في هذا الكتاب، ولا أتى بجميعه، إذ كان قد أفرد لذلك كتاباً مجرداً من الأخبار، ومحتوياً على جميع الغناء القديم والمتأخر»[٢]. وذكره ابن النديم ومن جاء بعده من المؤلفين أيضاً[٣]، وأشار الخطيب البغدادي إلى انه من جملة الكتب التي كان أبو الفرج أرسلها إلى ملوك الأندلس[٤].

١٩ ـ المماليك الشعراء: تفرد ياقوت بذكره كما رأينا[٥].

٢٠ ـ مناجيب الخصيان: أشار إليه ياقوت، وقال ان أبا الفرج عمله للوزير المهلبي في مغنيين كانا له[٦]

٢١ ـ كتاب النساء: انفرد بذكره التجاني (المتوفى نحو ٧١٧ هـ) في كتابه «تحفة العروس» واقتبس منه كثيراً.

---

(١) فهرست كتب الشيعة ٣٧٩.
(٢) الأغاني ١/١ و٢/٧٦.
(٣) الفهرست ١٧٣.
(٤) تاريخ بغداد ١١/٣٩٨.
(٥) معجم الأدباء ١٣/٩٩.
(٦) معجم الأدباء ١٣/١٠٠.

٢٢ ـ كتاب نسب بني تغلب: ذكره الخطيب وياقوت والقفطي وحاجي خليفة[١].

٢٣ ـ كتاب نسب بني شيبان: ذكره الخطيب وياقوت والقفطي وحاجي خليفة وهو يرد عند أبي الفدا مصحفاً إلى: «نسب بني سنان» بينما ذكره ابن الوردي باسمه الصحيح، وهو ينقل عنه في تاريخه كما هو معلوم، مما يدل على التصحيف في ذلك[٢].

٢٤ ـ كتاب نسب عبد شمس: قال الخطيب إنه من الكتب التي كان أبو الفرج يبعث بها إلى الأندلس، كما ذكره ياقوت والقفطي وابن واصل وأبو الفدا وابن خلكان وحاجي خليفة[٣].

٢٥ ـ كتاب نسب بني كلاب: ذكره الخطيب والقفطي وابن واصل وابن خلكان وحاجي خليفة[٤].

---

(١) تاريخ بغداد ١١/٣٩٨، معجم الأدباء ١٣/١٠٠، أنباء الرواة ٢/٢٥٢، تجريد الأغاني ١/٥ وفيات الأعيان ٣/٣٠٨، كشف الظنون ٢/١٩٥١.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ١١/٣٩٨، معجم الأدباء ١٣/١٠٠، أنباء الرواة ٢/٢٥٢، تجريد الأغاني ١/٥، المختصر ٣/١٣٦، تتمة المختصر ١/٣٨:.

(٣) تاريخ بغداد ١١/٣٩٨، معجم الأدباء ١٣/١٠٠، أنباء الرواة ٢/٢٥٢، تجريد الأغاني ١/٥، المختصر ٣/١٣٦، وفيات الأعيان ٣/٣٠٨، كشف الظنون ٢/١٩٥١.

(٤) تاريخ بغداد ١١/٣٩٨، أنباء الرواة ٢/٢٥٢، تجريد الأغاني ١/٥، وفيات الأعيان ٣/٣٠٨.

٢٦ ـ نسب المهالبة: ذكره الخطيب ضمن مجموعة الكتب التي كان يبعث بها أبو الفرج إلى الأندلس كما ذكره ياقوت والقفطي وابن واصل وابن خلكان والسخاوي أيضاً[١] . ويبدو ان أبا الفرج وضع هذا الكتاب مجاملة للوزير المهلبي .

٢٧ ـ كتاب نفي كلام فاطمة في فدك: تفرد الطوسي بذكره[٢] .

رابعاً: كتب منسوبة إلى أبي الفرج الأصفهاني

إلى جانب الكتب السابقة التي صحت نسبتها إلى أبي الفرج، هناك مجموعة أخرى من الكتب والمؤلفات التي تنسب اليه في كتب المعاصرين، دون ان يكون لها ذكر في أي مصدر من المصادر القديمة. بل على العكس فإن هذه الكتب منسوبة فيها إلى غيره من المؤلفين وأقدم ذكر لهذه المؤلفات المنسوبة إلى أبي الفرج ورد في مختصر الأب انطون صالحاني اليسوعي للأغاني المسمى «رنات المثالث والمثاني في روايات الأغاني»، إذ جاء في مقدمته قوله بعد ان اتى على ذكر بعض مؤلفات الأصبهاني: «وللأصبهاني تصانيف غيرها لم يذكرها أصحاب التراجم، تيّسر لنا ان نجمعها بالاستقراء من كتاب كشف الظنون وغيره»[٣] . ثم أتى على تعداد هذه الكتب، ومعظمها ممّا ورد ذكره عند عدد كبير من القدماء، وبعضها لم يذكره

---

(١) بالإضافة إلى المصادر السابقة انظر السخاوي. الإعلان بالتوبيخ ص ١٠٨ .

(٢) فهرست كتب الشيعة ٣٧٩

(٣) رنات المثالث والمثاني ١ /٣: .

أحد منهم حقاً، لأنها ليست من كتب أبي الفرج . والكتب التي نسبها الصالحاني اليسوعي إلى أبي الفرج هي :

١ ـ مجموع شعر أبي تمام : ذكره ابن النديم وابن خلكان وحاجي خليفة، وقالوا إنه رتّبه على الأنواع، ونسبوه إلى الفرج علي بن حمزة الأصبهاني (ـ ٣٥٦ هـ) وكان على ما يبدو مولعاً بجمع الدواوين الشعرية [١] .

ـ ديوان البحتري : لعلي بن حمزة أيضاً، ذكره ابن النديم وحاجي خليفة وقالا بأنه رتّبه على الأنواع . وقال بذلك الصالحاني حين نسبه إلى أبي الفرج[٢].

ـ ديوان أبي نواس : ذكره ابن النديم وحاجي خليفة لعلي بن حمزة[٣].

ـ كتاب أعيان الفرس : ذكره حاجي خليفة لعلي بن حمزة. وقد ذكر من ترجم له انه فارسي الأصل[٤] .

ولعل مبعث الوهم في ذهن الأب الصالحاني راجع إلى ما بين هذين المؤلفين من تشابه في الاسم وتاريخ الوفاة. وقد نقل محققو

---

(١) الفهرست ٢٤١ ، وفيات الأعيان ٢ /١٧ ، كشف الظنون ١ /٧٧٠، رنات المثالث والمثاني ١ /١٣ .

(٢) الفهرست ٢٣٤ ، كشف الظنون ١ /٧٧٤، رنات المثالث والمثاني ١ /١٣

(٣) كشف الظنون ١ /١٢٨ .

(٤) تاريخ الأدب العربي ٣ /٧٠ .

الأغاني (طبعة دار الكتب) اسماء هذه الكتب وأوردوها منسوبة إلى أبي الفرج، ومن ثم انتشرت في كتب المعاصرين الأخرى التي كان لهذه الكتب ذكر فيها.

كما أورد بروكلمان أسماء بعض الكتب الأخرى منسوبة إلى أبي الفرج ومنها «كتاب أخبار المجانين» مشيراً إلى انه نقله عن السخاوي في الإعلان عن التوبيخ ص ١٠٨. ولا يوجد لهذا الكتاب ذكر في كتاب السخاوي كله؛ كما لم ينسب أحد هذا الكتاب إلى أبي الفرج غير بروكلمان.. و«كتاب الأمالي» [٤] الذي لم يذكر أحد من القدماء على انه لأبي الفرج. على ان حاجي خليفة يذكر كتاباً باسم «الأمالي الأصبهانية» للقاضي المحاملي من معاصري أبي الفرج[١]، وذكر له أيضاً كتاباً آخر باسم «كشف الكربة في وصف الغربة»[٢]. ولعله اسم آخر لكتاب أبي الفرج الذي ذكرناه «أدب الغرباء» إذ لم يرد ذكر لهذا الكتاب في أي من المصادر القديمة.

---

(١) كشف الظنون ١/١٦٨.

(٢) تاريخ الأدب العربي ٣/٧٠.

الفصل الرابع
دراسة تحليلية لكتاب الأغاني

أولاً: التعريف بالأغاني:

يعتبر هذا الكتاب أحد أهم كتب أبي الفرج الأصبهاني، ومن القدماء من يسميه «الأغاني الكبير» تمييزاً له عن كتاب آخر له عنوانه «مجرد الأغاني»[1]. وهو من أكثر كتب التراث العربي قيمة وأهمية، لما تضمنته أجزاؤه الكثيرة من ألوان الثقافات المختلفة والمعارف المتنوعة، وهو في كل الأحوال أهم مصدر من مصادر الشعر العربي ونقده منذ أقدم عصوره وحتى القرن الثالث للهجرة.

واسم الكتاب يدل على المراد من وضعه في الأصل، نعني «الأغاني» فصدّره بمائة صوت كان الرشيد أمر ابراهيم الموصلي، مغنّيه وغيره ان يختاروها له. ثم وقعت للواثق بعده فأمر إسحق بن ابراهيم، فاختار له منها ما رأى انه أفضل. وأضاف اليها أشياء أخرى، فسار أبو الفرج على هذه الخطة معولاً على ما اختاره غير هؤلاء أيضاً من أهل العلم بصناعة الغناء. وتكمن أهمية الكتاب بما فيه من

---

(١) الفهرست ١٧٣.

الأخبار والأشعار، فهو إذا ما ذكر أبياتاً على لحن وعيّن نغمها ومن غناها، استطرد إلى ذكر ناظمهاوترجمته والأحوال التي قيلت فيها من حرب أو حب في الجاهلية أو الإسلام، ومن غناها ومن شهد ذلك وأسبابه وأحواله، فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والاسناد. فاحتوى الكتاب على أخبار مئات من الشعراء والأدباء والمغنين والعشّاق والخلفاء والقواد، وأكثر أيام العرب وأخبار قبائلهم وأنسابهم ووقائعهم وغزواتهم، وفيه خبر أشعار الجاهلية والاسلام ولا سيما ما كانوا يغنون به، وآداب القوم في طعامهم وشرابهم واجتماعهم وحروبهم وزواجهم وطلاقهم وسائر أحوالهم. فأهمية هذا الكتاب متوقفة على ما حواه من تلك التراجم والأخبار، ويكاد يكون منفرداً بها. ولولاه لضاع كثير من أخبار الجاهلية وصدر الاسلام وأيام بني أمية[1].

وقد أبدى القدماء اعجاباً شديداً بهذا الكتاب. وكان ابن خلدون أقواهم تعبيراً ودلالة على قيمته حين قال:

«وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصبهاني. وهو من هو. كتابه الأغاني، جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم، وجعل مبناه على الغناء في مائة الصوت التي اختارها المغنون للرشيد، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه. وهو لعمري ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في

---

(١) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٢ / ٢٨١ - ٢٨٢ ط. مصر ١٩١٢.

كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال. ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه. وهو الغاية التي يسمو اليها الأديب ويقف عندها»[1].

وقد حصلت لهذا الكتاب شهرة واسعة جداً منذ ان ظهر للناس في أواسط القرن الرابع وحتى يومنا هذا! فتسابق العلماء والمتأدبون إلى قراءته على مؤلفه. ووصلت شهرته سريعاً إلى الأندلس، فبعث خليفتها الحكم( ) إلى أبي الفرج «الف دينار عيناً ذهباً، وخاطبه يلتمس منه نسخة.. فأرسل إليه نسخة منقحة»[2] كما بعث بنسخة أخرى إلى سيف الدولة الحمداني في حلب«فأنفذ له ألف دينار»[3].

ولما حدّث الوزير الصاحب بن عباد بذلك قال: «لقد قصّر سيف الدولة: وانه ليستحق أضعافها، إذ كان كتابه مشحوناً بالمحاسن المنتخبة، والفقر الغريبة، فهو للزاهد فكاهة، وللعالم مادة وزيادة، وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة، وللملك طيبة ولذاذة. ولقد اشتملت خزائني على مائة ألف وسبعة عشر الف مجلد ما فيها سميري غيره، ولا راقني منها سواه.. فهو حقيق بتسميته الحاوي لا الأغاني»[4].

وأفاد منه عدد كبير من المؤلفين، فكان أحد مصادر الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ) في تأليف «حلية المحاضرة»[5]. كما اعتمد عليه البكري

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٠٧١.
(٢) الحلة السيراء ١/٢٠١ ـ ٢٠٢.
(٣) مختار الأغاني ١/١.
(٤) مختار الأغاني ١/٢.
(٥) حلية المحاضرة، مقدمة المحقق ١/٦٢.

الأندلسي (- ٤٨٧ هـ) في تصحيح بعض أوهام القالي في أماليه[١].
ومن الأندلسيين الذين أفادوا منه أيضاً ابن الأبّار إذ كان أحد مصادره في «الحلة السيراء»[٢]. وقال ياقوت الحموي عنه «وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به، وطالعته مراراً، وكتبت منه نسخة بخطي في عشر مجلدات، ونقلت منه إلى كتابي الموسوم بأخبار الشعراء فأكثرت»[٣]. كما كان أحد مصادر ابن خلكان الرئيسية في وفياته[٤].

ثانياً: مخطوطات الأغاني:

أفرد بروكلمان فقرة موسعة لذكر المخطوطات التي وصلت الينا من كتاب الأغاني مبيناً المكتبات التي تضمها، مع معلومات وصفية لها. ثم تابع فؤاد سزكين عمل بروكلمان فأورد ذكر المخطوطات التي لم يذكرها بروكلمان[٥]. ويتضح مما ورد لدى سزكين ان أقدم المخطوطات المتوافرة لدينا ترقى إلى القرن الخامس الهجري وهي محفوظة في مكتبة بلدية الإسكندرية تحت الرقم (١٢٢٩ ب). ويمكن تقدير النسخ المتوافرة من هذا الكتاب بنحو مائتي نسخة بين كاملة وناقصة موزعة في انحاء العالم.

---

(١) التنبيه على أوهام أبي علي القالي ص ٣٧، ٤٧، ٦٧ ومواضع اخرى.
(٢) الحلة السيراء، مقدمة المحقق ص ١٧١.
(٣) معجم الأدباء ١٣/٩٨.
(٤) وفيات الأعيان ١/٢٥٤، ٢/١٦٣، ١٦٨، ١٦٩، ٢٦٦، ٣/٣٥، ٣٥٢، ٤/١١٠ ومواضع كثيرة.
(٥) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ١/٦١٥-٦١٦.

ثالثاً: طبعات الأغاني:

أقدم طبعات الأغاني هي الطبعة الالمانية، إذ قامت جامعة كوز جارتن بطبع الجزء الأول منه، مع ترجمة ألمانية له سنة ١٨١٠. ويقابل هذا الجزء، الجزء الأول من طبعة بولاق إلى ص ١٥٢، والأول من طبعة دار الكتب إلى صفحة ٣٧٨. وينتهي عند أخبار ابن محرز. وقد ضبطت كلماته بالشكل.

- طبعة بولاق: وهي الطبعة الأولى للأغاني، وتقع في عشرين جزءاً. صدرت بالقاهرة عن مطبعة بولاق سنة ١٢٨٥ هـ/١٨٦٨ م. وقد سقطت من هذه الطبعة بعض الأخبار والتراجم والأشعار، بسبب افتقارها إلى التحقيق العلمي الصحيح وعدم اعتمادها على مخطوطات تامة للأغاني.

وقد أصدر المستشرق الاميركي رودولف برونوف جزءاً مكملاً لهذه الطبعة عرف باسم «الجزء الحادي والعشرين» جمع فيه بعض التراجم والأخبار التي عثر عليها في بعض مخطوطات الأغاني» مما لم يرد في الطبعة السابقة، وطبعه في ليدن سنة ١٣٠٥ هـ/١٨٨٨م) وهذا الجزء ليس من تجزئة المؤلف الذي جعل كتابه في عشرين جزءاً فقط. وعلى هذا وجب توزيع هذا الجزء في أماكنه من هذه الأجزاء فيما لو فيض لهذا السفر ان يطبع بتحقيق جديد. ويتضح من كل هذا ان الأصل الذي طبع عليه كتاب الأغاني في مطبعة بولاق كان ناقصاً أو مخروماً، بدليل وجود هذه الزيادات في هذه النسخ المخطوطة التي أخذ عنها برونوف.

وقد تكفل المستشرق الايطالي غويدي بعد ذلك بعمل فهارس كاملة لهذه الطبعة من الأغاني، مرتبة على حروف المعجم، وتشتمل على فهارس للشعراء، والأعلام، والقبائل، والقوافي والأشعار، والأمكنة والجبال، صدرت بالفرنسية سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٠ م.

وفي سنة ١٩١٦ قام محمد عبد الجواد الأصمعي بتصحيح كتاب الأغاني المحفوظات بخزانة أحمد زكي باشا (وهي من طبعة بولاق) على النسخة التي صححها الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي والمحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٤٤ أدب ش). وقد جعل هذه التصحيحات على هيئة جداول ليسهل مراجعتها وطبعها تحت عنوان «تصحيح كتاب الأغاني»[١].

- طبعة الساسي: قام بأمرها الحاج محمد الساسي. وصدرت بالقاهرة عن مطبعة التقدّم سنة ١٣٢٣ هـ/١٩٠٥ م. وتقع في واحد وعشرين جزءاً، تشتمل على الطبعة السابقة، مضافاً إليها الجزء الحادي والعشرين الذي جمعه برونوف، ومذيلة بفهارس غويدي مترجمة إلى اللغة العربية. بيد أنها ليست مطابقة لهذه الطبعة، لأنها لا تتفق إلا على أساس طبعة بولاق.

- طبعة دار الكتب المصرية: وهي طبعة محققة تحقيقاً علمياً، صدر الجزء الأول منها سنة ١٩٢٧ م، واستمرت باقي الأجزاء بالصدور

---

(١) محمد عبد الجواد الأصمعي: أبو الفرج الأصبهاني وكتابه الأغاني ص ٩ - ١٠

حتى تم منها ستة عشر جزءاً قبل تصفية القسم الأدبي بدار الكتب سنة ١٩٦٣.

ثم أعيد تصوير هذه الأجزاء بالأوفست، مضافاً إليها أخبار حارثة ابن بدر التي الحقت بالجزء السادس عشر، وهي تابعة في الأصل للجزء الثامن. ومنذ سنة ١٩٧٠، كلفت الهيئة المصرية للتأليف والنشر التي حلت محل القسم الأدبي، عدداً من المحققين بمتابعة تحقيق بقية الأجزاء، فتم ذلك سنة ١٩٧٤ بصدور الجزء الرابع والعشرين منه. وتعرف هذه الطبعة بمجملها بطبعة دار الكتب.

- طبعة دار الثقافة في بيروت: وهي طبعة أشرف عليها الشيخ عبدالله العلايلي وقام بأمر تحقيقها، ووضع فهارسها عبد الستار أحمد فراج وتقع في خمسة وعشرين جزءاً تكاد الأجزاء الستة عشرة الأولى منها تتطابق مع مثيلاتها من طبعة دار الكتب وتختلف عنها في بقية الأجزاء، إذ لم تكن قد صدرت طبعة دار الكتب لهذه الاجزاء.

وقد صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٠٥، والثانية سنة ١٩٥٧ والثالثة سنة ١٩٦٤، والرابعة ١٩٧٣

- طبعة دار الكتب العلمية في بيروت مع ملحق بأخبار أبي نواس وتقع في خمسة وعشرين مجلداً مع مجلدين للفهارس. وهي طبعة جديدة كتب هوامشها عبد الأمير مهنا، سمير جابر وآخرون.

- طبعة إبراهيم إبراهيم الأبياري ١٩٦٩ - ١٩٧٩ وقد صدرت عن دار الشعب بالقاهرة وتعتمد أساساً على طبعة الدار.

ـ طبعة مؤسسة جمال للطباعة في بيروت وهي طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب على ان الكتاب لا يزال بحاجة إلى تضافر جهود كثيرة ومتنوعة تعمل على دراسته وتحقيقه تحقيقاً علمياً سليماً، يستبعد ما فيه من خلل ونقص واضطراب، ويعتمد على نسخة المخطوطة ومختصراته وتجريداته الموزعة في مكتبات العالم، حتى يعود إلى أصله الصحيح.

رابعاً: مختصرات الأغاني وتجريداته

نال كتاب الأغاني عناية العلماء الفائقة. والمرجح ان الكتاب المتداول اليوم لم يكن كما تركه المؤلف، بل ان تلامذته أضافوا إليه أشياء وجدوها بين أوراقه أو مروياته لهم. وأضافوا نصوصاً من كتبه الأخرى، وهكذا تضخم الكتاب، وأصبح من الضروري اختصاره وتهذيبه وقد نهض بهذه المهمة مجموعة من علماء المشرق والمغرب منهم.

١ ـ مختصر الوزير المغربي أبي القاسم الحسين بن علي بن الحسين (٣٧٠ ـ ٤١٨ هـ) وهو شاعر، أديب، نسّابة، ذكرت له مؤلفات عديدة منها، أدب الخواص، الايناس بعلم الأنساب، كتاب في علم السياسة، وهي مطبوعة. ومن آثاره المخطوطة: إختيار من كتب علي بن عبيده الريحاني، ومختصر إصلاح المنطق. ولي الوزارة مرات كثيرة في بغداد والموصل وديار بكر، ودفن بالكوفه[1].

---

(١) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٠/٧٩ ـ ٩٠، وفيات الأعيان ٢/١٧٢ ـ ١٧٧ الوافي بالوفيات ١٢/٤٤.

ذكر مختصره ياقوت الحموي ونقل شيئاً من مقدمته[١] . وكذلك فعل ابن واصل الحموي في تجريده، وقال: «ولما ولي الوزير المغربي الوزارة اختصره وأحبه وصار له به غرام عظيم وأفرط في تقريظه، ومدحه في خطبة مختصره. وقال انه لم يقف على مصنف لأحد أحسن منه، وانه اختصره لأجل سفره ليصغر حجمه»[٢] . وذكره حاجي خليفة أيضاً[٣] .

ومن هذا المختصر نسخة فريدة، ذكر جليل العطية، محقق كتاب الإماء الشواعر انه اطلع عليها ووجدها جيدة قد كتبت بخط نسخ جميل سنة ٦٩٩ هـ في مدينة واسط بالعراق، غير ان الأرضة عبثت في بعض أوراقها[٤]، وهي تقع في مجلدين وموجودة في مكتبة باريس الوطنية (باريس ٥٧٦٦ و٥٧٦٩)

٢ ـ مختار الأغاني ومعانيها: للأمير عز الملك محمد بن القاسم الحراني المسبّحي[٥] (٣٩٦ ـ ٤٤٨ هـ)، ذكره ابن خلكان وحاجي خليفة[٦]، والمسبّحي مؤرخ أديب، شاعر له ٢٨ كتاباً، لم يصل الينا منها سوى الجزء الأربعين من كتاب أخبار مصر، نشر بتحقيق الدكتور أيمن فؤاد سيّد، وتياري بيانكي في القاهرة سنة ١٩٧٨ م. اما مختار الأغاني فهو مفقود.

---

(١) معجم الأدباء ١٣/٩٧ ـ ٩٨.

(٢) تجريد الأغاني ١/٦.

(٣) كشف الظنون ١/١٢٩.

(٤) جليل العطية مقدمة كتاب القيان ٢٧.

(٥) ترجمته في الوافي بالوفيات ٤/٧، النجوم الزاهرة ٤/٢٧١.

(٦) وفيات الأعيان ٤/٣٧٨، كشف الظنون ١٢٩١.

٣ ـ مختصر الأغاني لأبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن (٦١٠ هـ). وأبو الربيع شاعر، مترسل، سياسي، تولي ادارة سجلماسة وأعمالها للسلطان يعقوب بن يوسف[١] وصل إلينا المختصر في مخطوطة مكتوبة سنة ٦٠٧ هـ، اي انها مكتوبة في اثناء حياته[٢].

٤ ـ مختصر الأغاني: لابن ناقيا ابي القاسم عبد الله بن الحسن الشاعر الأديب الحلبي (٤١٠ ـ ٤٨٥ هـ)[٣]. ذكره ابن خلكان وقال: «واختصر الأغاني في مجلد واحد»[٤]. كما ذكره صاحب الكشف أيضاً[٥]. وابن ناقيا عالم، أديب، لغوي. من آثاره المطبوعة: الجمان في تشبيهات القرآن، المقامات، ومن آثاره المخطوطة: شرح فصيح ثعلب، ومختصر ابن ناقيا مفقود.

٥ ـ مختصر الأغاني: للقاضي الرشيد أبي الحسن أحمد بن علي الزبيري الأسواني المصري[٦] (ت ٥٦٣ هـ) والرشيد، أديب، سياسي، عارف بعلوم الفلك والموسيقى. ومن آثاره المطبوعة: أمنية الالمعي ومنية المدعي. ومن آثاره المفقودة: جنان الجنان وروضة

---

(١) الوافي بالوفيات ١٥/٣٩٦.

(٢) سزكين: تاريخ التراث العربي ١/٦١٧.

(٣) ترجمته في المنتظم ٩/٦٨، الإعلام ٤/١٢٣.

(٤) ابن خلكان ٣/٩٩.

(٥) كشف الظنون ١/١٦٠.

(٦) ترجمته في خريدة القصر، قسم شعراء مصر ١/٢٠٠، شذرات الذهب ٤/١٩٧، الاعلام ١/١٧٣.

الأذهان. وهو موسوعة أدبية تقع في أربع مجلدات، تعدّ تتمه ليتيمة الدهر للثعالبي (٤٢٩ هـ) ودمية القصر للباخرزي (٤١٧ هـ). وقد نقل ابن منظور من مقدمة المختصر هذا تقريظاً للأغاني، كما ذكره حاجي خليفة أيضاً[١]، وهو مفقود.

٦ ـ مختصر الأغاني: للداخور عبد الرحيم بن علي بن حامد (٥٦٥ ـ ٦٦٧ هـ) شيخ الأطباء ورئيسهم بدمشق في عصره، وهو شاعر أديب مؤلف له أيضاً: اختصار الحاوي ومسائل في الطب. أما مختصره فقد ذكره ابن شاكر الكتبي وكاتب جلبي[٢] وهو مفقود.

٧ ـ مختصر الأغاني: للتاج أبي الفتح عثمان بن عيسى البلطي (٥٢٤ ـ ٥٥٩). وكان البلطي إماماً نحوياً مؤرخاً شاعراً ينسب إلى بَلَط وهي بلدة قريبة من الموصل (معجم البلدان بلط). من آثاره: العروض الصغير، أخبار المتنبي، المستزاد على المستجاد من فعلات الأجواد. وهي مفقودة. قال السخاوي: واختصر الأغاني إختصاراً جميلاً أحسن فيه[٣] والمختصر مفقود.

٨ ـ تجريد الأغاني من المثالث والمثاني: لابن واصل الحموي (٦٠٤ ـ ٦٩٧) وهو جمال الدين محمد بن سالم بن نصرالله. والحموي عالم أديب، مؤرخ، من آثاره: مفرج الكروب في دولة بني

---

(١) مختار الاغاني ١/١، كشف الظنون ١/١٣٠٠.

(٢) فوات الوفيات ٢/٣١٥، كشف الظنون ١/١٣٠.

(٣) الاعلان بالتوبيخ ص ١٠٦.

أيوب وهو مطبوع، شرح الجمل، هداية المنطق، التاريخ الصالحي شرح الموجز للأفضلي.

أما تجريد الأغاني فقد وصل إلينا في عدة نسخ أقدمها مخطوط رئيس الكتاب ٩٠٢، وهي مكتوبة في القرن السابع الهجري. وقد طبع في مصر سنة ١٩٥٥ م في ثمانية مجلدات، وأشرف على تحقيقه طه حسين وإبراهيم الابياري. وقد جرده ابن واصل «من الأسانيد والمتكررات ومما لا فائدة من ذكره من الأخبار والأشعار والمشتركات، واقتصر على غرر فوائده، ودرر فرائده»[١]، بناء على طلب أحد سلاطين بني أيوب في حماه[٢].

٩ ـ مختار الأغاني في الأخبار والتهاني: لابن المكرم صاحب لسان العرب، المعروف بابن منظور المصري (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ)[٣]. وقد رتبه على حروف المعجم، فابتدأ بأخبار أبي العتاهية، وأضاف إليه ترجمة طويلة لأبي نواس أسّسها على ترجمة قديمة له من صنع ابن الأعرابي[٤]. وقد وصلت إلينا عدة نسخ من مخطوطات هذا المختار، منها نسخة بخط ابن منظور نفسه. طبع الجزء الأول منه بالمطبعة السلفية في القاهرة سنة ١٩٢٧ م ثم طبع فيها كاملاً بأجزاء ثمانية سنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ بتحقيق إبراهيم

---

(١) تجريد الاغاني ١/١.

(٢) هو السلطان محمود بن محمد عمر الأيوبي، ملك حماة سنة ٦٢٦ هـ، وتوفي سنة ٦٤٢ هـ، وكان ابن واصل على صلة قوية به أنظر المختصر ٤/٣٣.

(٣) أنظر ترجمته في فوات الوفيات ٢/٣٣١.

(٤) مختار الأغاني ٣/٦ وما بعدها.

الأبياري ونشره محمد زهير الشاويش سنة ١٩٦٤ م في اثني عشر جزءاً في طبعة تجارية.

١٠ ـ إدراك الأماني من كتاب الأغاني: لعبد القادر بن عبد الرحمن المعروف بالسلوي، الفاسي الأندلسي الأصل، التونسي الدار. من رجال القرن الثاني عشر للهجرة(١). ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً ونوجد نسخة منه في خزانة القصر الملكي بالرباط تحت الرقم ٢٧٠٦ وتقع في ٢٥ جزءاً ينقصها الجزء الأخير، مكتوبة بخط مغربي واضح جميل، وفي بعض صفحاتها خروم بسيطة، وينقصها الجزء الأخير، فهو مفقود.

١١ ـ حدائق الفنون في اختصار الأغاني وابن خلدون: مخطوط في جزء مفرد مكتوب بخط مغربي من اعداد مجهول. وهو محفوظ في خزانة الأحمدية بتونس تحت الرقم ٤٦٤٩.

١٢ ـ اختصار الأغاني: لمحمد الشحمي التونسي المتوفي بعد ١١٩٠/هـ(٢). مخطوط أوله: ان أبهى ما نظم في عقود الطروس وأحسن ما رصع به فقرات النفوس حمدالله الذي حلّى فرائد الأدب بالمعالي، ووشّحها بايقاعات المثالي ودوائر الأغاني. وختام المخطوط: قيل كان أبو عبيده والأصمعي ينشدان الطرماح.

يتكون المخطوط من ٢٢٤ ورقة، مكتوب بخط مغربي، وهو

---

(١) جليل العطيه: مقدمة كتاب القيان ٢٧
(٢) جليل العطية: المرجع السابق ٢٦

مخطوط في خزانة الأحمدية بتونس تحت الرقم ٤٦٤٧ (فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية: ١٤).

١٣ ـ بشير التهاني: لمؤلف مجهول، توجد نسخةَ منه في الجزائر من خمس مجلدات وتعود إلى القرن الثالث عشر الهجري (أنظر سزكين ٦١٧/١).

١٤ ـ رنات المثالث والمثاني في روايات الأغاني: للأب انطوان الصالحاني اليسوعي. وهو من المختصرات التي صدرت أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ويقع في جزئين، الأول منهما مخصص للروايات الأدبية، والثاني للروايات التاريخية. وحذف ما دون ذلك من أسانيد وأصوات وأخبار مغنين. وقد جعل له الصالحاني مقدمة أورد فيها أطرافاً من أخبار أبي الفرج وكتبه ومؤلفاته، كما نسب إليه عدة مؤلفات لم تثبت صحة نسبتها إليه. صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٨٨٨ م. ولم تكن تحمل إسم المؤلف، وإنما جاء في مكانه: «لأحد الأباء اليسوعيين» والثانية سنة ١٩٢٣ م. وفي رأسها إسم المؤلف.

١٥ ـ إختيار الأغاني: لابن فضل الله العمري (٧٠٠ ـ ٧٤٩ هـ) وقد اختصر العمري الأغاني في الجزء التاسع من موسوعته «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار». ووصل إلينا هذا الجزء في عدة نسخ مخطوطه.

١٦ ـ مهذب الأغاني: للشيخ محمد الخضري (١٩٢٧ م) حذف منه الأسانيد ورد الأشعار إلى أصولها، وأكمل الناقص فيها، ورتب

الشعراء فيه على حسب أزمانهم من جاهليين، ومخضرمين، وإسلاميين، ومخضرمي الدولتين، ومحدثين. فكان من ذلك الأجزاء الستة الأولى، وخصّ السابع بالمغنين، والثامن بالفهارس والاستدراكات. وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٢٥

١٧ ـ **أختيار الأغاني**: للدكتور احسان النص، نشر في بيروت ويقع في ستة أجزاء

١٨ ـ **مختارات من الأغاني**: للدكتور أحمد كمال زكي طبع في القاهرة بجزئين دون تاريخ.

١٩ ـ **المغني عن الأغاني**: للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وهو مخطوط توجد نسخة منه بالنجف الأشرف في العراق تقع في ٧٧٩ ورقة. قال عنه علي الخاقاني: الكتاب تحفة بوصفه وانتقائه (مجلة الأقلام بغداد ١ ـ ٤ ـ ٦ لسنة ١٩٦٤).

٢٠ ـ **مختار من شعراء الأغاني**: لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء (بغداد ١٩٥٠).

كذلك فقد ذكر بروكلمان ان هناك مختصراً مجهول المؤلف في الجزائر، وآخر منه في تونس[١].

خامساً: موضوعه وفوائده

في مقدمة الأغاني عبارات صريحة الدلالة على موضوعه وفوائده حيث قال أبو الفرج انه:

---

(١) تاريخ الأدب العربي ٣/٦٩.

«جمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية قديمها وحديثها، ونسب كل ما قاله منها إلى قائل شعره وناظم لحنه. . . واعتمد في هذا الباب على ما وجد لشاعره أو مغنّيه، أو السبب الذي من أجله قيل الشعر أو صَنع اللحن خبراً يستفاد، إذ ليس لكل الأغاني خبر نعرفه، ولا في كل ما له خبر فائدة، ولا لكل ما فيه بعض الفائدة رونق يروق النظر ويلهي السامع. وأتى في كل فصل بنتف تشاكله، ولمع تليق به، وفِقَر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً من فائدة إلى مثلها ومتصرفاً بها بين جد وهزل، وآثار وأخبار، وسِيَر وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة، وأخبارها المأثورة، وقصص الملوك في الجاهلية، والخلفاء في الإسلام، تجمل بالمتأدبين معرفتها، وتحتاج الأحداث إلى دراستها، ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها، إذ كانت متنخلة من غرر الأخبار ومنتقاة من عيونها، ومأخوذة من مظانها، ومنقولة عن أهل الخبرة بها»[1]

إذاً فالشعرالعربي انما اختير في كتاب الأغاني على أساس من الغناء، فهي أصوات غنائية قبل كل شيء، وبعد كل شيء. ومن هنا كانت تغير ألفاظ الشاعر أحياناً، كما كان المغنّون يجمعون بين أشعار لشعراء مختلفين. وليس أدل على ذلك من ان أبا الفرج قد أهمل الشعراء الذين لم يجد لهم من الأشعار ما غنّي فيه حتى يترجم له، ثم هو في ذكره للشعر الذي غني فيه إنما يهتم به من حيث هو أصوات، فيذكر هذه الأصوات كما غنّيت، حتى لو غيّر المغنون الشعر لتستقيم

---

(١) الأغاني ١/١ ـ ٢.

لهم القسم والتجزئة، وحتى لو كان الشعر لأكثر من شاعر. فإذا ما انتهى من ذكر أبيات، لشاعر غنيّ له، على لحن وعيّن نغمها ومن غنّاها، استطرد إلى ذكر الشاعر وترجمه والأحوال التي قيلت فيها من حرب أو حب في الجاهلية أو الإسلام. ومن غنّاها ومن شهد ذلك وأسبابه وأحواله، فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والإسناد. لذا احتوى الكتاب على أخبار مئات من الشعراء والأدباء والمغنين والعشاق والخلفاء والقواد، وأكثر أيام العرب وأخبار قبائلهم وأنسابهم ووقائعهم وغزواتهم وأيامهم، وفيه خبر أشعار أهل الجاهلية والإسلام، وآداب القوم في طعامهم وشرابهم واجتماعهم وسائر أحوالهم.

ويحرص أبو الفرج وهو يقدم ما راقه من أشعار العرب وأيامهم، وقصص الملوك في الجاهلية، والخلفاء في الإسلام أن يكون له رونق يروق الناظر ويلهي السامع، ونلاحظ أن كلامه يُشعر بأنه مستعد لإهمال ما فيه من فائدة إذا خلا من ذلك الرونق، فكتاب الأغاني يساير القراء المتطلعين إلى النواحي الطريفة من أخبار الملوك والخلفاء، والوزراء والكتّاب والشعراء، وإلى القصص الشائق الخلّاب الذي يمتع ويؤنس، بالفكاهة والدعابة، فهو يقدّم لأوقات اللهو والفراغ ما تحتاج إليه العقول المكدورة، والنفوس المحزونة طرائف الاقاصيص وغرائب الأثار، متنقلاً بالقارىء من خبر إلى غيره، ومن قصة إلى سواها، ومن أخبار قديمة إلى محدثة، ومليك إلى سوقة، وجد إلى هزل، لأن ذلك ادعى إلى نشاطه وابعث على شهوته لتصفح ما في الكتاب من مختلف الفنون.

هذه هي المقاصد التي تحكمت فيما اختار الأصفهاني ان يدور عليه كتابه. وإذا ما كان هناك، في الكتاب، من الأخبار ما هو جاء كأخبار الحروب، وأخبار الأحكام النقدية والخصومات الأدبية، تلك التي قد تمثل مذهب الشاعر أو رأي النقاد فيه، فهذه لا تدل على أكثر من سعة الاطلاع عند أبي الفرج.

سادساً: أهمية الأغاني في دراسة اللغة العربية وآدابها:

امتاز أبو الفرج الأصبهاني بانتقاء الألفاظ الرشيقة السهلة مع أسمى المعاني والتأنق في صوغ العبارات، وتوثيق الربط بينهما بأسلوب عربي سليم جعله نسيج وحده. فما حواه من خصائص النثر الفني في هذا العصر، وما اختاره من جيد النظم، كان له أثر عظيم في أساس نهضة الأدب العربي لمن جاؤوا من بعده من المؤلفين، واغترفوا من معينه.

ومن مزايا هذا الكتاب النفيس ان أبا الفرج الأصبهاني اثناء سرده للأخبار انفرد بشرح الكلمات اللغوية، ذلك أنه كان فوق ما له من المنزلة العالية في العلم والأدب قوي الحافظة للغريب من الألفاظ، متفقهاً في اللغة، عالماً بأسرارها، واسع الدراية برواية الشعر ودرس معانيه، محيطاً بأخبار العرب وحفظ المهذّب من أشعارهم، فمن ذلك شرحه أبيات عنترة التالية:

أمِن سميّة دمع العين مذروف ... لو أنّ ذا منك قبل اليوم معروف
كأنها يوم صدّتْ ما تكلمني ... ظبيٌ بعُسفان ساجي العين مطروف
تجلّلتني إذا أهوى العصا قبلي ... كأنها صنم يعتاد معكوف

العبد عبدكم والمال مالكُمُ فهل عذابُك عني اليوم مصروف
تنسى بلائي إذا ما غارةٌ لحِقت تخرج منها الطُوالاتُ السراعيفُ
قد أطعن الطعنة البخلاء عن عرُض تصفرُ كف أخيها وهو منزوف

قوله: «مذروف» من ذرَفت عينه، يقال: ذرفت تذرف ذريفاً وذرْفاً وهو قطرٌ يكاد يتصل. وقوله: «لو أن ذا منك قبل اليوم معروف»: أي قد أنكرتُ هذا النحو والإشفاق منك، لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم ينكره. «ساجي العين»: ساكنُها، والساجي: الساكن من كل شيء. «مطروف»: أصابت عينه طرْفةٌ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه. «تجلّلتني»: ألقت نفسها عليّ. و«أهوى» اعتمد. و« صنم يُعتاد» أي يؤتى مرة بعد مرة. و«معكوف» يُعكف عليه. و«السراعيفُ»؛ السراع، واحدتها سرْعوفة. و«الطوالات»: الخيل. و«الرحائل»: السروج» و«الشمم»: ارتفاع في الأنف. و«الغطاريف»: الكرام والسادة. و«الغطرفة» ضرب من السير والمشي يختال فيه. و«البخلاء»: الواسعة، يقال: سنانٌ منجلٌ: واسع الطعنة. «عن عرُض» أي عن شق وحرْف. وقال غيره: اعترضه اعتراضاً حين اقتله(١) كما يذكر أبو الفرج الفاظاً اصطلاحية كانت شائعة في الدولتين: الأموية والعباسية، ولا نظير لها في كتب الأدب. فهو من هذه الناحية حفظ لنا ثروة لغوية عظيمة لولاه لضاعت مع ما ضاع من تراث الأدب العربي.

ويعتبر كتاب الأغاني أول المراجع التاريخية الأدبية التي تغلب

---

(١) الأغاني ٨/٢٣٨ ـ ٢٣٩ وأيضاً ٨/٢٤٢ ـ ٢٤٣.

عليها صحة النقل وتحرّي الصواب، كما يمتاز بأنه الكتاب الوحيد الذي أسهب الكلام بما لا يزيد عليه في تاريخ العرب في الجاهلية والإسلام ، فهو أجمع كتاب للأدب العربي وتاريخه، ترجم مؤلفه لأكثر الشعراء، من جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ومحدثين، وأتى في كل ذلك بنتف تشاكله، ولمع تليق به، وفِقَر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً بها من فائدة إلى مثلها، ومنصرفاً بها بين جد وهزل، وآثار وأخبار، وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة، وأخبارها المأثورة، وقصص الملوك في الجاهلية، والخلفاء في الإسلام، لا سيما تاريخ الدولتين اللتين لهما الشأن الأكبر والأثر الظاهر في الإسلام، وهما الدولة الأموية والدولة العباسية، خصوصاً من الوجهة التاريخية والأدبية والاجتماعية والعمرانية فيعد من هذه الناحية ثروة أدبية عظيمة لا نجدها في كتاب سواه ومن مزايا هذا الكتاب النفيس، وفوائده التي لا تقدر انه خزانة مِلَح ونكت ونوادر ونُبذ وفصول ممتعة في التاريخ والأدب العربي، منقولة عن أمهات الكتب، والأثار الحافلة والمراجع النادرة التي لا وجود لها الآن، وتدل على ان أبا الفرج كان عالماً محققاً، مدققاً، حجة ثقة كما قال ابن النديم في وصفه.

«وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من الأصول الجياد»[١]

فلولا كتاب الأغاني، وحفظه طول هذه السنين وتداوله على مر

---

(١) الفهرست ص ١٧٣.

العصور والأجيال، لضاع معظم الشعر القديم، وفقدنا كثيراً من نصوص النثر العربي الصميم، وتلاشى وصف أشياء قيّمة عن الحضارة الإسلامية، والحياة الإجتماعية والعمرانية. فقد امتاز كتاب الأغاني بأشياء، وانفرد بها دون سواه من الكتب من الناحية الأدبية والتاريخية والاجتماعية والعمرانية فمن ذلك وصف الأشياء النفيسة من القصور، وما فيها من الفراش والرياش والحلى، والملابس الفاخرة، والوانها الزاهية، والجواري والقيان، والبساتين وما فيها من أنواع الرياحين والأزهار، والثمار والخضر، وما يتبع ذلك من مجالس الشرب، والمنادمة في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء، ووصف حالها في الديارات، ومصايد الطير والسمك وأشكال الملاعب، وغير ذلك من المعاني الدقيقة والأفكار الجميلة.

والخلاصة ان من يقرأ كتاب الأغاني تتبيّن له صورة أبي الفرج في مختلف أشكاله وأحواله، فتارة لغوياً بارعاً يشرح غرائب اللغة وأسرارها فيما يسرده من أشعار وسِيَره ومرة راوياً حافظاً فيما يسوقه من خطب وآثار، وطوراً أخبارياً جامعاً فيما يرويه من ملح ونتف وأخبار. لذا كان أبو الفرج من العلماء الافذاذ الذين يهوى العلم والأدب اتقان تصويرهم، والصدق في وصفهم وتقديرهم، ويعتبر كتابه «الأغاني» مدرسة تلقى عنه العلماء والأدباء الأدب العربي منذ نيّف وألف سنة.

سابعاً: منهج أبي الفرج في إيراد المرويّات:

أبو الفرج شخصية متميّزة لها مسلكها الخاص في إيراد المرويات، وهو مسلك يشعرنا بالمذهب الذي كان يعتنقه أبو الفرج ويرينا في غير لبس إن كان أبو الفرج يجري على مذهب الرواة أو يذهب مذهب المؤرخين.

وأبو الفرج واضح الدلالة في انه كان يجري على مذهب الرواة. وأول ما يطالعنا من هذه الدلالات أن أبا الفرج كان يحرص حرصاً شديداً على الاّ يفوته أي شيء مما يعرفه الناس، فهو حريص على كل ما قيل حتى ولو كان من المصنوعات والأكاذيب، وليس ذلك من مذاهب المؤرخين الذي يحرصون الحرص كله على الوقوف على الحقيقة وذكر ما يعتقدون انه الحق.

وإذا كان أبو الفرج حريصاً على إيراد الخبر أو القصة كما وصلته حتى ولو كان المعنى فاسداً أو الخبر مختلطاً غير صحيح بالضبط، إلاّ أن هذا الأمر لم يمنعه من نقده أو تصحيحه مثال ذلك نقده لرواية ابن الكلبي عن دريد بن الصمّة وحكمه عليها أنها موضوعة. قال أبو الفرج: «وهذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة كلها، والتوليد بيّن فيها وفي أشعارها، وما رأيت شيئاً منها في ديوان دريد بن الصمّة على سائر الروايات، وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير، فإنه ذكر فيه ما لحق دريداً من الهجنة والفضيحة في أصحابه، وقتل من قُتل معه وانصرافه منفرداً.

وشعر ابن دريد هذا يفخر فيه بأنه ظفر ببني الحارث وقتل اماثلهم، وهذا من أكاذيب ابن الكلبي. وانما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء وقد رواه الناس وتداولوه[1].

وكان أبو الفرج في نقده ابن خرداذبه، وهو من كبار العلماء المؤرخين والجغرافيين. وقد تناوله أثناء كلامه عن معبد. قال أبو الفرج:

---

(١) الأغاني ١٠/٤٠.

«وذكر ابن خرداذبه انه غنى في أول دولة بني أمية، وأدرك دولة بني العباس وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل صوته، فكان إذا غنى يُضحك منه ويُهزأ به. وابن خرداذبه قليل التصحيح لما يرويه ويضمّنه كتبه. والصحيح ان معبداً مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده. وقد قيل: انه أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته: فأما ادراكه دولة بني العباس فلم يرْوِه أحد سوى ابن خرداذبه، ولا قاله ولا رواه أحد وإنما جاء به مجازفة»[1]. كما ردّ على ابن خرداذبه في نسبته إلى عمر بن الخطاب الغناء فقال:

«المنسوب إلى الخلفاء من الأغاني والمُلصق بهم لا أصل لجُلّه، ولا حقيقة لأكثره، لا سيما ما حكاه ابن خرداذبه فإنه بدأ بعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فذكر انه تغنى في هذا البيت «كأن راكبها غصن بمروحة». ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الامامة لا بد منه ولا معدّل عنه، يخبط خبط عشواء، ويجمع جمع حاطب الليل. فأما عمر بن الخطاب فلو جاز هذا ان يروي عن كل أحد لبعدَ عنه، وإنما روُي انه تمثل بهذا البيت وقد ركب ناقة فاستوطأها، لا أنه غنّى به، ولا كان الغناء العربي أيضاً عُرف في زمانه الاّ ما كانت العرب تستعمله من النصب (غناء للعرب يشبه الحداء الاّ انه أرق) والحداء. وذلك جار مجرى الانشاد، الاّ انه يقع بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت. والذي صحّ من ذلك من رواة هذا الشأن

---

(١) الأغاني ١/٣٦.

فأنا ذاكر منه ما كان متقن الصنعة لاحقاً بجيد الغناء، قريباً من صنعة الاوائل، وسالكاً مذاهبهم لا ما كان ضعيفها سخيفاً، وجامع منه ما اتصل به خبر 'ـه يستحسن ويجري مجرى هذا الكتاب وما تضمنه»(١).

وتناوله في موضع آخر بالقدح والذم فقال: «وممن دونت صنعته من خلفاء بني العباس الواثق بالله. ولم نعلمه حُكي ذلك عن أحد منهم قبله الاّ ما قدّمنا سوء العهدة فيه عن ابن خرداذبه فإنه حكى ان للسفاح والمنصور وسائرهم غناء، واتى فيها باشياء غثه لا يحسن لمحصل ذكرها»(٢)

وكان لأبي الفرج رأي في شعر أبي العتاهية حيث يقول:

«هذه المعاني أخذها كلها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الاسكندر، وقد أخرج الاسكندر ليدفن، قال بعضهم: كان الملك أمس أهيب منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس. وقال آخر: سكنت حركة الملك في لذاته، وقد حركنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده، وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار»(٣).

ونقد رواية الزياديّ «ان النعمان هو الذي تنصّر» قال:

---

(١) الأغاني ٩/٢٥٠.
(٢) الأغاني ٩/٢٧٦.
(٣) الأغاني ٤/٤٤

«انما ذكرت الخبر الذي رواه الزيادي على ما فيه من التخليط لأنني اذا اتيت بالقصة ذكرت كل ما يُروى في معناها، وهو خبر مختلط لأن عدي بن زيد انما كان صاحب النعمان بن المنذر وهو المحبوس، والنعمان الأكبر لا يعرفه عديّ ولا رآه، ولا هو جد النعمان الذي صحبه عديّ كما ذكر ابن زياد وقد ذكرت نسب النعمان آنفاً ولعل هذا النعمان الذي ذكره عم النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر والمتنصر السائح على وجهه، ليس عدي بن زيد أدخله في النصرانية، وكيف يكون هو المدخل له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمان في شعره، لما حبسه مع من ضربه مثلاً له من الملوك السالفة»[1]

ويمضي أبو الفرج في نقده لما يروي، وتصحيح ما يخبر به، فهو تارة يثبت اغارة البعض على أبيات لغيره وانتحالها، أو أخذ معناها، أو يستحسن شعر شاعر أو ينقد معنى بيت ويستحسن معنى آخر، أو يرد على بعض الرواة في نسبة شعر، فانتقادات أبي الفرج تدل على ثاقب فكره وواسع علمه في طرق النقد الأدبي، وهي تبرهن على سعة اطلاعه وخصوبة ذهنه، وقوة حفظه، وتجعل لكتابه قيمة فنيّة باقية على الدهر، وطابعاً خاصاً يعرف به ويجعله نسيج وحده.

وأساس الترتيب عند أبي الفرج في كتاب الأغاني ليس الزمن، وليست الاسماء مرتبة ترتيباً أبجدياً، أو مرتبة حسب القبائل أو البلدان، بل ليس أساسه الأشخاص على الإطلاق. ان ترتيب الكتاب

---

(١) الأغاني ٢/١٣٦.

أن يقوم على الأصوات، الأصوات الثلاثة والأصوات المائة، وأغاني الخلفاء وأولادهم، ثم أغاني المشهورين من المغنين والمغنيات وهو أساس ليس من صنع أبي الفرج وإنما قام به غيره، وبخاصة في الأجزاء الأولى من الكتاب، تلك التي تخبر عن الأصوات الثلاثة المختارة، والأصوات المائة المختارة، والأصوات التي تجمع النغم العشرة المشتملة على سائر نغم الأغاني والملاهي والأرمال الثلاثة المختارة، ومدن معبد وهي سبعة أصوات، والسبعة التي جعلت بازائها من صنعة ابن سريج، وأغاني الخلفاء وأولادهم، وما اعتبر من صدور الغناء وأوائله مما يعتقد أبو الفرج أنه لا يحسن تقديم غيره امامه.

وكان على أبي الفرج ان يجري في ايراد المرويات على طريقة ليست من صنعه أيضاً، فكان عليه ان يجري على تلك الطريقة التي رسمها إسحق الموصلي في كتابه الذي بعث به إلى علي بن هشام والذي أورد صاحب الأغاني صوته عند ترجمته لاسحاق.

الفصـل الخـامـس
مقتطفـات مـن كتـب أبي الفـرج الأصفهـانـي

غنـاء معبـد للوليـد
(الأغـانـي ١/٥٣ ـ ٥٥)

«اشتاق الوليد بن يزيـد إلى معبد، فـوجه إليـه إلى المدينـة فأحضر. وبلغ الوليد قدومه فأمر ببركة بين يدي مجلسه فملئت ماء ورد قد خُلط بمسك وزعفران، ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة، وبسط لمعبد مقابله على حافة البـركة، ليس معهمـا ثالث، وجيء بمعبد فرأى ستراً مُرخى ومجلس رجل واحد، فقال له الحجّـاب: يـا معبـد، سلّم على أميـر المؤمنين واجلس في هـذا الموضع، فسلّم فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر ثم قال له: حيّاك الله يا معبداً اتدري لم وَجهتُ إليـك؟ قال: الله أعلم وأميـر المؤمنين. قال: ذكرتُك فأحببت ان أسمع منك، قال معبد أأغني ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين؟ قال بل غنني.

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهُمُ   حتى تفانَوْا وريب الـدهر عـدّاهُ

فغنّاه، فما فرغ حتى رفع الجواري السَّجْف ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج منها فاستقبله الجواري بثياب غير

الثياب الأولى. ثم شرب وسقى معبداً، ثم قال له: غنني يا معبد:

يا ربع مالك لا تجيب متيّماً قد عاج نحوك زائراً ومسلماً
جادتك كل سحابة هطّالة حتى ترى عن زهرة متبسماً
لو كنت تدري من دعاك أجبته وبكيت من حُرق عليه إذاً دماً

قال: فغناه وأقبل الجواري فرفعن الستر وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج، فلبس ثياباً غير تلك، ثم شرب وسقى معبداً. ثم قال له: غنني، فقال: بماذا يا أمير المؤمنين!؟ قال: غنني.

عجبتْ لما رأتني أندب الربع المحيلا
واقفاً في الدار أبكي لا أرى الّا الطلولا
كيف تبكي لأناس لا يملون الذميلا
كلما قلت اطمأنت دارهم قالوا الرحيلا

قال: فلما غناه رمى نفسه في البركة، ثم خرج فردّوا عليه ثيابه، ثم شرب وسقى معبداً. ثم أقبل عليه الوليد فقال له: يا معبد، من اراد ان يزداد عند الملوك حظوة فليكتم اسرارهم، فقلت: ذلك ما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى ايصائي به؛ فقال: يا غلام، احمل إلى معبد عشرة الآف دينار تحصّل له في بلده وألفي دينار نفقة طريقه، فحملت إليه كلها وحمل على البريد من وقته إلى المدينة.

غناء الوليد بن يزيد
(الأغاني ٩/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)

قال أبو الفرج: «وممن غنى منهم: الوليد بن يزيد. وله أصوات صنعها مشهورة، وقد كان يضرب بالعود، ويوقع بالطبل، ويمشي بالدف على مذهب أهل الحجاز.

قال خالد صامة: كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه: أراني الله يا سلمى حياتي. وهو يشرب حتى سكر. ثم قال لي: هات العود، فدفعته إليه، فغناه أحسن غناء، فنفست عليه إحسانه، ودعوت بطبل فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود وأخذ الطبل فجعل يوقع به أحسن إيقاع، ثم دعا بدُفّ فأخذه ومشى به وجعل يغني اهزاج طويس حتى قلت قد عاش، ثم جلس وقد انبهر، فقلت: يا سيدي، كنت أرى أنك تأخذ عنا ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك! فقال: اسكت ويلك! فوالله لئن سمع هذا منك أحد ما دمت حياً لأقتلنك. فوالله ما حكيته عنه حتى قتل».

وذكر أبو الحسن المدائني: «أن يحيى مولى العبلات المعروف بفيل وهو الذي غنّى:

أزرى بنا اننا شالت نعامتنا

كان مقيماً بمكة. فلما قدمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غناء وحكاية لابن سريج، فقيل له: فيل. فدعاه وقال له: امش لي بالدف ففعل. ثم قال له الوليد: هاته حتى أمشي به، فإن اخطأت

فقوّمني، فمشى به أحسن من مشية فيل. فقال له يحيى: جعلت فداءك، إيذن لي حتى اختلف اليك لأتعلّم منك

فمن مشهور صنعته:

وصفراء في الكأس كالزعفران سباها التجيبي من عسقلان
تُريك القذاة وعَرْضَ الإناء ستر لها دون لمس البنان

أسرَ الحجاج أعشى همْدان وذكّره بشعر قاله ثم قتله

(الأغاني ٦ ص ٥٨ - ٦٢)

قال جماعة: «لما أتى الحجّاج بن يوسف الثقفي بأعشى همْدان أسيراً قال: الحمد لله الذي أمكن منك، ألست القائل:

لما سفَوْنا للكفوُر الفتان بالسيّد الغِطريف عبد الرحمن
وسار بجمع كالقطا من قحطان ومن معدٍّ قد أتى ابن عدنان
أمكن ربيّ من ثقيف همدان يوماً إلى الليل يسلّى ما كان
أن ثقيفاً منهم الكذابان كذّابُها الماضي وكذاب ثان

أو لست القائل:

يا ابْن الأشج مَريعُ كِنده لا أُبالي فيك عتْبا
أنت الرئيس ابن الرئيس وأنت أعلى الناس كعبا
نُبئْتُ حجاج بن يو سف خرّ من زلق فتبّا
فانهض فديت لعلّه يجلو بك الرحمن كرْبا
وابعث عطيّة في الخيو ل يكبُّهن عليه كبّا

كلّا يا عدو الله! بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خرّ من زلق فتبّ، وحار فانكبّ. وما لقي ما أحبّ، ورفع بها صوته واربدّ وجهه،

واهتز منكباه، فلم يبق احد في المجلس إلا أهمّته نفسه وارتعدت فرائصه. فقال له الأعشى: بل أنا القائل أيها الأمير:

أبى الله إلاّ أن يتمم نوره ... ويطفيء نار الفاسقين فتخمدا
وينزل ذلاً بالعراق وأهله ... كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما لبث الحجاج أن سلّ سيفه ... علينا فولى جمعنا وتبددّا
وما زاحف الحجاج إلاّ رأيته ... حساماً مُلَقّى للحروب معوّدا
فكيف رأيت الله فرّق جمعهم ... ومزّقهم عُرض البلاد وشرّدا
بما نكثوا من بيعة بعد بيعة ... إذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة ... من القول لم تصعد إلى الله مصعداً
ولمّا دلفنا لابن يوسف ضلّة ... وأبرق منا العارضان وارعدا
قطعنا إليه الخندقين وإنما ... قطعنا وأفضينا الى الموت مُرصدا
فصادفنا الحجاج دون صفوفنا ... كفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
بجند أمير المؤمنين وخيله ... وسلطانه أمسى مُعانا مؤيدا
ليهنىء أمير المؤمنين ظهوره ... على أمة كانوا بُغاة وحسدا
وجدنا بني مروان خير أئمة ... واعظم هذا الخلق حلماً وسؤددا
وخير قريش في قريش أرومة ... وأكرمهم إلا النبيّ محمدا
إذا ما تدبرنا عواقب أمرنا ... وجدنا أمير المؤمنين المسدّدا
سيغلب قوماً غالبوا الله جهرة ... وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذاك يضل الله من كان قلبه ... ضعيفاً ومن والى النفاق وألحدا
فقد تركوا الأموال والأهل خلفهم ... وبيضاً عليهن الجلاليب خُرّدا
ينادينهم مُستعبرات إليهم ... ويُذرين دمعاً في الخدود وإثمدا
وإلاّ تناولْهُنّ منك برحمة ... يكُن سبايا والبعولة اعبدا

تعطّف امير المؤمنين عليهم فقد تركوا أمر السفاهة والرّدى
لعلهم ان يحدثوا اليوم توبة وتعرف نصحاً منهم وتودّدا
لقد شمت يابن الأشعث العام مصرنا فظلوا وما لاقوا من الطير أسعدا
كما شاءم الله النُجَيْر واهلَه بجدّك من كان أشقى وانكدا

فقال من حضر من أهل الشام: لقد أحسن أيها الأمير، فخلّ سبيله، فقال:

أتظنون أنه أراد المدح! لا والله! لكنه قال هذا أسفاً علي لغلبتكم إياه، وأراد به ان يحرض أصحابه، ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدو الله أنك تخدعني بهذا الشعر، وتنفلت من يدي حتى تنجو! ألست القائل! ويحك:

وإذا سألتَ: المجدُ أين محلُّه فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأغرّ وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود

والله لا تبخبخ بعدها أبداً، أو لست القائل:

وأصابني قوم وكنت أصيبهم فاليوم أصبر للزمان وأعرف

كذبت والله، ما كنت صبوراً ولا عروفاً، ثم قلت بعده:

وإذا تُصبك من الحوادث نكبة فاصبر فكل غيابة ستكشّفُ

أما والله لتكوننّ نكبة لا تنكشف غيابتها عنك أبداً! يا حرسيّ، اضرب عنقه، فضرب عنقه.

وصف أعرابي لحفلة عرس
(الأغاني ١٢/٣٥ طبعة بولاق)

وحدثنا عن وصف أعرابي لحفلة عرس وصفاً بدوياً بديعاً عن الفضل بن العباس الهاشمي من ولد قثم بن جعفربن سليمان عن أبيه قال:

«كان ناهض بن ثومة الكلابي يفد على جدي قثم فيمدحه ويصله جدي وغيره، وكان بدوياً جافياً كأنه من الوحش، وكان طيب الحديث، فحدّثه يوماً انهم انتجعوا ناحية الشام، فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب، فإذا نزل نواحيها أتاه فمدحه، وكان براً به.

قال: فمررت بقرية يقال لها: قرية بكر بن عبدالله الهلالي، فرأيت دوراً متباينة وخصاصاً قد ضم بعضها إلى بعض، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون، عليهم ثياب تحكي ألوان الزهر، فقلت في نفسي: هذا أحد العيدين: الأضحى أو الفطر، ثم ثاب إليَّ ما عزب عن عقلي، فقلت: خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر، وقد مضى العيدان قبل ذلك، فما هذا الذي أرى! فبينا أنا واقف متعجب أتاني رجل فأخذ بيدي فأخذني دار قوراء، وأدخلني منها بيتاً قد نجّد في وجهه فُرش ومهّدت، وعليها شاب ينال فُروع شعره منكبيه والناس حوله سماطان، فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي حكى لنا جلوسه وجلوس الناس بين يديه، فقلت وأنا ماثل بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته! فجذب رجل يدي وقال: اجلس فإن هذا

ليس بأمير، قلت: فما هو؟ قال: عروس! فقال: واثكل أماه، لرب عروس أراه بالبادية أهون على أهله من هن أمه! فلم انشب أن دخل رجال يحملون هنات مدوّرات، أما ما خفّ منها فيحمل حملاً، وأما ما كبر وثقل فيدحرج، فوضع ذلك أمامنا، وتحلّق القوم عليه حلقاً، ثم أتينا بخرق بيض فألقيت بين أيدينا، فظننتها ثياباً، وهممت أن أسأل القوم منها خرقاً أقطعها قميصاً، وذلك أني رأيت نسجاً متلاحماً لا يبين له سدى ولا لحمة، فلما بسطه القوم بين أيديهم إذ هو يتمزق سريعاً، وإذا هو، فيما زعموا صنف من الخبز لا أعرفه.

ثم أتينا بطعام كثير بين حلو وحامض، وحار وبارد، فأكثرت منه وأنا لا أعلم ما في عقبه من التخم والبشم، ثم أتينا بشراب أحمر في عساس، فقلت لا حاجة لي فيه، فإني أخاف أن يقتلني. وكان إلى جانبي رجل ناصح لي - أحسن الله جزاءه - فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابي، إنك قد أكثرت من الطعام وإن شربت الماء همى بطنك، فلما ذكر البطن تذكرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخ من أهلي، قالوا: لا تزال حياً ما كان بطنك شديداً فإذا اختلف فاوص، فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به، وجعلت أكثر منه فلا أمل شربه، فتداخلني من ذلك صلف لا أعرفه من نفسي، وبكاء لا أعرف سببه، ولا عهد لي بمثله، واقتدار على أمر أظن معه أني لو أردت نيل السقف لبلغته، ولو ساورت الأسد لقتلته...

وكان معنا في البيت شاب لا آبه به، فعَلَتْ الأصوات بالثناء عليه والدعاء، فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها، فيها خيوط أربعة،

فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه، ثم عرك آذانها وحرّكها بخشبة في يده، فنطقت، ورب الكعبة، وإذا هي أحسن قينة رأيتها قط، وغنى عليها، فأطربني حتى استخفني من مجلسي، فوثبت فجلست بين يديه وقلت: بأبي أنت وأمي، ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت إلا قريباً. فقال: هذا البربط. فقلت: بأبي أنت وأمي، فما هذا الخيط الأسفل؟ قال: الزير، قلت: فما الذي يليه؟ قال: المثنى، قلت: فالثالث: قال المثلث، قال: فالأعلى؟ قال البمّ، قلت: آمنت بالله أولاً وبك ثانياً وبالبربط ثالثاً، وبالبم رابعاً.

قال: فضحك أبي والله حتى سقط، وجعل ناهض يعجب من ضحكه. ثم كان بعد ذلك يستعيد لهذا الحديث، ويطرف به أخوانه فيعيده ويضحكون منه...»

طرب شيخ لسماع مغنيّة
(الأغاني ٩/٢٩٢ - ٢٩٣)

وصف لنا أبو الفرج طرب شيخ لسماع مغنية فرمى نفسه في الفرات فقال:

«اصطحب شيخ مع شباب في سفينة في الفرات، ومعهم مغنية. فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جارية لبعضنا وهي مغنية، فأحببنا أن نسمع غناءها فهبناك، فإن أذنت لنا فعلنا، قال: أنا أصعد إلى طلل السفينة فاصنعوا أنتم ما شئتم، فصعد، وأخذت الجارية عودها فغنّت:

حتى إذا الصبح بدا ضوءه وغابت الجوزاء والمرزم
اقبلت والوطء خفيٌ كما ينساب من مكمنه الأرقم

فطرب الشيخ وصاح، ثم رمى بنفسه بثيابه في الفرات، وجعل يغوص في الفرات ويطفو ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فألقوا أنفسهم خلفه، فبعد لأي ما استخرجوه، وقالوا له: يا شيخ ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إليكم عني؟ فإني والله اعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون».

وقيل له في خبر: ما أصابك؟ فقال: دبّ شيء من قدمي إلى رأسي كدبيب النمل ونزل في رأسي مثله، فلما وردا على قلبي لم أعقل ما عملت.

حادث غريب يوم مات متيم وإبراهيم بن المهدي وبذل (الأغاني ٧/٣٠٦ ـ ٣٠٧)

ووصف لنا حادثاً غريباً وقع لما ماتت متيِّم وإبراهيم بن المهدي وبذْل وهم رؤساء المغنين في عصرهم في يوم واحد فقال:

«إن جارية للمعتصم قالت له حين ماتت متيِّم وإبراهيم بن المهدي وبذل: يا سيدي أظن أن في الجنة عُرساً، فطلبوا هؤلاء إليه، فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره، فلما كان بعد أيام وقع حريق في حجرة هذه القائلة، فاحترق كل ما تملكه. وسمع المعتصم الجلبة، فقال: ما هذا؟ فأخبر عنه، فدعا بها فقال: ما قصتك؟ فبكت وقالت: يا سيدي، احترق كل ما أملكه. فقال: لا تجزعي، فإن هذا لم يحترق وإنما استعاره أصحاب ذلك العرس».

وصف موكب المتوكل بسرّ منْ رأى
(الأغاني ١٠/ ٦٤)

لما عقد المتوكل لولاة العهود من ولده، ركب بسر من رأى ركبة لم يُر أحسن منها، وركب ولاة العهود بين يديه، والأتراك بين أيديهم أولادهم يمشون بين يدي المتوكل بمناطق الذهب، في أيديهم الطبرزينات المحلاّة بالذهب، ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات وسائر السفن، وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له: العروس، وأذن للناس فدخلوا إليه، فلما تكاملوا بين يديه، مُثل إبراهيم بن العباس بين الصفين فاستأذن في الإنشاد فأذن له، فقال:

ولما بدا جعفر في الخميس   بين المطلّ وبين العروس
بدا لابساً بها حُلّةً   أُزيلت بها طالعات النُّحوس
ولمّا بدا بين أحبابه   ولاة العُهُود وعز النفوس
غدا قمراً بين أقماره   وشمساً مكلّلة بالشموس
لإيقاد نار وإطفائها   ويوم أنيق ويوم عبوس

ثم أقبل على ولاة العهود فقال:

أضحت عُرى الإسلام وهي منوطة   بالنصر والإعزاز والتأييد
بخليفة من هاشم وثلاثة   كنفوا الخلافة من ولاة عهود
قمر توافت حوله أقماره   فحففن مطلع سعده بسعود
رفعتهم أيام وارتفعوا به   فسعوا بأكرم أنفس وجدود

فأمر له المتوكل بمائة ألف درهم وأمر له ولاة العهود بمثلها.

أخبار المغيرة بن شعبه ونسبه
(الأغاني ٨/١٣٤)

أدركت ما منيَّت نفسي خالياً　　لـلّٰه درك يا بنة النعمان
إني لحلْفك بالصليب مصدّق　　والصُّلب أصدق حلفة الرهبان
ولقد رددت على المغيرة ذهنه　　ان الملوك بطيئة الإذعان
يا هند حسبك قد صدقت فامسكي　　والصدق خير مقالة الإنسان

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفي يقوله في هند بنت النعمان بن المنذر لما خطبها فردّته، وخبره في ذلك وغيره ها هنا إن شاء اللّٰه والغناء لحُنين ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ.

هو المغيرة بن شعبه بن أبي عامر بن مسعود بن معتّب بن مالك بن كعب بن سعد بن عمرو بن عوف بن قسّي، وهو ثقيف، ويكنى أبا عبداللّٰه، وكان يكنى أبا عيسى فغيّرها عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه وكناه أبا عبداللّٰه، وأمه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظويلم ابن جُعيل بن عمرو بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وكان المغيرة من دُهاة العرب وحَزَمتها، وذوي الرأي منها والحيل الثاقبة، وكان يُقال له في الجاهلية والإسلام: مغيرة الرأي، وكان يُقال: ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلاّ اختار أحْزمهما، وصحب النبي ﷺ، وشهد معه الحديبية وما بعدها، وبعثه أبو بكر، رضي الله عنه إلى أهل البُحير، وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص، فلما أراد مراسلة رستم لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعقل فبعث به إليه، وكان السفير بينهما حتى وقعت الحرب. وولاّه عمر ـ رضي اللّٰه

عنه - عدة ولايات احدها البصر ح وهو واليها: ميسان ودشت ميسان وأبرقُباذ. وقاتل الفرس بالمرعات فهزمهم، ونهض إلى من كان بسوق الأهواز فقاتلهم وهزمهم وفتحها، وانحازوا إلى نهر تيري ومناذر الكبرى فزحف إليهم فقاتلهم وخرج إلى المشرق مع النعمان بن المقرن، وكان المغيرة على ميسرته. وكان عمر قد عهد ان هلك النعمان، فالأمير حُذيفة، فإن هلك فالأمير المغيرة بن شعبة.

ولما فتحت نهاوند سار المغيرة في جيش الى همدان ففتحها، وولاه عمر بعد ذلك الكوفة فقتل عمر وهو واليها، وولّاه إياها معاوية بن أبي سفيان، فكان عليها إلى ان مات بها. وهو أول من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ورتب الناس فيه فأعطاهم على الديوان ثم صار رسماً لهم يحتذونه.

قال محمد بن سعد كاتب الواقدي: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني محمد بن سعد الثقفي وعبد الرحمن بن عبد العزيز، وعبد الملك بن عيسى القفيّ، وعبدالله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب، ومحمد بن يعقوب بن عُتبة عن أبيه وغيرهم قالوا: قال المغيرة ابن شعبة: كنا قوماً من العرب متمسكين بديننا ونحن سدنة اللات فأراني لو رأيت قوماً قد أسلموا وما تبعتهم، فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقس وأهدوا له هدايا. فأجمعت الخروج معهم فاستشرت عمي عروة بن مسعود فنهاني وقال لي: ليس معك من بني أبيك أحد. فأبيت إلّا الخروج وخرجت معهم، وليس معهم أحد من الأحلاف غيري حتى دخلنا الإسكندرية فإذا المقوقس في مجلس مطل على البحر فركبت قارباً حتى حاذيت مجلسه. فنظر إليّ

فأنكرني وأمر من يسائلني ما أنا وما أريد؟ فسألني المأمور فأخبرته بأمرنا وقدومنا عليه، فأمر بنا أن نُنزّل في الكنيسة وأجرى علينا ضيافة. ثم دعا بنا فنظر إلى رأس بني مالك فأدناه وأجلسه معه ثم سأله: أكلّ القوم من بني مالك؟ فقال: نعم، إلاّ رجلاً واحداً من الأحلاف. فعرّفه إياي فكنت أهون القوم عليه، ووضعوا هداياهم بين يديه، فسُرّ بها وأمر بقبضها وأمر لهم بجوائز وفضّل بعضهم على بعض وقصّر بي، فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له وخرجنا، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ولم يعرض أحد منهم عليَّ مواساة وخرجوا وحملوا معهم خمراً فكانوا يشربون منها، وأشربُ معهم ونفسي تأبى أن تدَعني معهم وقلت: ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا

وما حباهم به الملك ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه إيايّ! فأجمعت على قتلهم، فقلت: أنا أجد صُداعاً فوضعوا شرابهم ودعوْني. فقلت: رأسي يُصدَّع ولكني أجلس واسقيكم، فلم يُنكروا شيئاً. وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح، فلما دبّت الكأس فيهم اشتهوا الشراب، فجعلت أصرّف لهم وأنتزع الكأس، فأهمدتهم الكأس حتى ناموا ما يعقلون، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً وأخذت جميع ما كان معهم، فقدمت على النبي ﷺ، فوجدته جالساً في المسجد مع أصحابه وعليَّ ثياب السفر، فسلّمت بسلام الإسلام، فنظر إليّ أبو بكر بن أبي قحافة، وكان بي عارفاً، فقال: ابن اخي عروة؟ قلت: نعم، جئت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداك إلى الإسلام» فقال أبو بكر: أمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم، قال: فما فعل

المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرّك فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئت بها إلى رسول الله ﷺ، ليخمسها ويرى فيها رأيه فإنما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدّق بمحمد ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «أما إسلامك فنقبله ولا نأخذ من أموالهم شيئاً ولا نخمسها لأن هذا غدر، والغدر لا خير فيه، فأخذني ما قرُب وما بعُد، فقلت: يا رسول الله، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة» فقال: «إن الإسلام يجبُّ ما كان قبله».

خبر هرون الرشيد مع أم جعفر
(الأغاني ١٠/١٧٢)

«أهديت إلى الرشيد جارية في غاية الجمال والكمال، فخلا معها يوماً وأخرج كل قينة في داره واصطبح، فكان جميع من حضره من جواريه المغنّيات والخدمة في الشراب زُهاء ألفي جارية في أحسن زي من كل نوع من أنواع الثياب والجوهر، واتصل الخبر بأم جعفر فغلظ عليها ذلك، فارسلت إلى علية تشكو إليها، فأرسلت إليها علية: لا يهولنّك هذا، فوالله لأردنه إليك، قد عزمت أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جواريَّ، فلا تبقي عندك جارية إلاّ بعثت بها إليَّ والبسيهن ألوان الثياب ليأخذن الصوت مع جواري، ففعلت أم جعفر ما أمرتها به علية. فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلاّ وعليّة قد خرجت عليه من حجرتها، وأم جعفر من حجرتها معها زهاء الفي جارية من جواريها

وسائر جواري القصر، عليهن غرائب اللباس، وكلهن في لحن واحد هزج صنعته عليّة.

منفصل عني وما قلبي عنه منفصل
يا قاطعي اليوم لمن نويت بعدي أن تصِلْ

فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر وعليّة، وهو على غاية السرور وقال: لم أرَ كاليوم قط يا مسرور، لا تبقينّ في بيت المال درهماً إلاّ نثرته، فكان مبلغ ما نثره يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما سمع بمثل ذلك اليوم قط».

الترف والنعيم في عصر الدولة العباسية

وصف لنا أبو الفرج كيف بلغ الترف والنعيم في عصر الدولة العباسية الى حد أن السرير كان يرصع بالجواهر، والثياب تنسج بالذهب فقال:

حدّث الحارث بن محمد بن بُشْخُنَّز قال:

وكانت لي نوبة في خدمة الواثق في كل جمعة، إذا حضرت ركبت الى الدار، فإن نشط إلى الشرب أقمت عنده، وإن لم ينشط انصرفت. وكان رسمنا ألاّ يحضر أحد منّا إلا في يوم نوبته، فإني لفي منزلي في غير يوم نوبتي، إذا رُسل الخليفة قد هجموا عليّ، وقالوا لي: احضر، فقلت: ألِخَيْر؟ قالوا: خير، فقلت: إن هذا يوم لم يحضرني فيه أمير المؤمنين قط ولعلكم غلطتم، فقالوا: الله المستعان، لا تُطل وبادر فقد أمرنا ألاّ ندعك تستقر على الأرض،

فداخلني فزع شديد وخفت ان يكون ساع قد سعى بي، أو بلية قد حدثت في رأيِ الخليفة عليّ، فتقدمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار، فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل، فمنعت، وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدلوا بي إلى ممرات لا أعرفها، فزاد ذلك في جزعي وغمّي، ثم لم يزل الخدم يسلمونني من خدم إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصّحن، ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب، ثم أفضيت إلى رواق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك، وإذا الواثق في صدره على سرير مرصّع بالجوهر، وعليه ثياب منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فريدة جاريته، عليها مثل ثيابه وفي حجرها عود. فلما رآني قال: جوّدْت والله يا محمد إلينا، فقبلت الأرض ثم قلت: يا أمير المؤمنين خيراً. قال: خيراً. أما ترانا! طلبت والله ثالثاً يؤنسنا فلم أر أحق بذلك منك، فبحياتي بادر فكل شيئاً وبادر إلينا، فقلت قد والله أكلت وشربت أيضاً. قال: فاجلس فجلست؛ وقال: هاتوا لمحمد رطلاً في قدح. فأحضرت ذلك، واندفعت فريدة تغني:

أهابك إجلالاً ومابك قدرة علَيّ ولكن ملءُ عين حبيبها
وما هجرتكِ النفس يا ليل انها قلتْك ولا أن قلّ منك نصيبها

فجاءت والله بالسحر، وجعل الواثق يجاذبها، وفي خلال ذلك تغني الصوت بعد الصوت، وأغني أنا في خلال غنائها، فمرّ لنا أحسن ما مرّ لأحد، فإنا لكذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وتفتت عودها ومرّت تعدو وتصيح، وبقيت أنا كالمنزوع الروح، ولم أشك في أن

عينه قد وقعت عليَّ، وقد نظرت إليها ونظرت إليّ، فاطرق ساعة إلى الأرض متحيراً. وأطرقت أتوقع منه ضرب العنق، فإني لكذلك، إذ قال لي: يا محمد، فوثبت، فقال: ويحك! أرأيت أغرب مما تهيأ لنا! فقلت: يا سيدي، الساعة والله تخرج روحي، فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله! فما كان السبب؟ ألِذنب؟ قال: لا والله ولكن فكرت أن جعفراً يقعد هذا المقعد، ويقعد معها كما هي قاعدة معي، فلم أطق الصبر وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت، فسري عني وقلت: بل يقتل جعفراً، ويحيا أمير المؤمنين أبداً، وقبلت الأرض وقلت: يا سيدي الله الله! ارحمها ومُر بردها، فقال لبعض الخدم الوقوف: من يجيء بها؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها، فلما راها جذبها وعانقها، فبكت وجعل هو يبكي، واندفعت أنا بالبكاء، فقالت: ما ذنبي يا مولاي ويا سيدي وبأي شيء استوجبت هذا! فأعاد عليها ما قاله لي، وهو يبكي وهي تبكي، فقالت: سألت بالله يا أمير المؤمنين ألاّ ضربت عنقي الساعة وارحتني من العكر في هذا، وأرحت قلبك من الهم بي، وجعلت تبكي ويبكي، ثم مسحا أعينهما ورجعت إلى مكانها.

وأومأ إلى خدم وقوف بشيء لا أعرفه، فمضوا واحضروا أكياساً فيها عين وورق، ورزم فيها ثياب كثيرة، وجاء خادم بدُرج ففتحه وأخرج منه عقداً ما رأيت قط مثل جوهر كان فيه، فألبسها إياه، وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدي، وخمسة

تخوت فيها ثياب، وعدنا إلى أمرنا وإلى أحسن مما كنا. فلم نزل كذلك إلى الليل، ثم تفرقنا.

أنيسة بنت معبد المغني[1]
(كتاب القيان ص ٦٣)

مكيّة، وفدت مع أبيها وأخيها كردم إلى يزيد بن عبد الملك، ثم على ابنه الوليد بن يزيد.

قرأت في كتاب الفرج علي بن الحسين:

أخبرني اسماعيل بن يونس، حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق (ابن إبراهيم الموصلي) قال: بلغني ان الوليد بن يزيد اصطبح يوماً وعنده أُنيسة بنت معبد وأخوها كردم. وشهده جاريته. فقال لأنيسة: أتعرفين صوتاً كان أبي يقترحه على أبيك منه ذكر لبابة؟ فقالت: نعم. وغنّته[2]

ودّعْ لبابة قبل أن تترحّلا   واسأل فإنَّ قلاله ان تسألا
البث لعمرك ساعة وتأنّها   فلعل ما بخلت به أن يبذلا
حتى إذا ما الليل جنّ ظلامه   ورجوت غفلة حارس ان يغفلا
خرجت تأطّرُ في الثياب كأنها   أيْمٌ يسيب على كثيب أهيلا

فطرب الوليد وقال: هو هو. واصطبح عليه يومه، ووالى الشرب سبعة أيام. فأمر فيها في كل يوم لأنيسة بألف دينار، ثم أمر ان تجهّز

(١) ابن عساكر رقم ١٩ من ٦١ - ٦٢

(٢) لعمر بن أبي ربيعة: شرح الديوان رقم ١٨٦.

بذلك وتُزَوِّج رجلاً شريفاً موسراً فزوّجها رجلاً من وجوه أصحابه من تنوخ.

قال أبو الفرج: أنيسة بنت معبد مولى ابن قطن يقال لها عروس القيان. وخرجت مع أبيها معبد[1] وأخيها كردم إلى يزيد بن عبد الملك، فأقاموا بالشام حياة يزيد كلّها. ثم رجعوا إلى المدينة طول أيام هشام. فلما ولي الوليد بن يزيد، استحضرهم إليه، ولم يزالوا مقيمين في عسكره، حتى مات معبد، فخرج الوليد بن يزيد وأخوه الغمر مبتذلين يحملان مقدّم جنازته، وزوّج الوليد أنيسة رجلاً من وجوه أهل الشام، فولدت منه ابناً ادركه اسحاق الموصلي. وهو شيخ، عند الفضل بن الربيع وسمعه يغني عنده.

غَذْر[2]

(كتاب القيان ص ٦٢)

مولاة الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك لها ذكر

قرأت في كتاب أبي الفرج علي بن الحسين قال:

غَذْر جارية الغمر بن يزيد بن عبد الملك، كانت من المحسنات

---

(١) معبد: معبد بن وهب أبو عباد المدني، نابغة الغناء في العصر الأموي، نشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه، ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة، ثم رحل إلى الشام، واتصل بأمرائها كان أديبا فصيحاً، عاش طويلاً الى ان انقطع صوته. توفي سنة ١٢٦هـ نجد ترجمته في: الأغاني ١/٣٦ - ٥٩، الأعلام (ط ٤): ٧/٢٦٤.

(٢) ابن عساكر: ٢٦٤ رقم ٧٥

الموصوفات. ابتاعها له عمر بن داوود الوادي[1] من الحجاز. ولما قتل الغمر أقامت على الوفاء له. فلم يكلمها أحد في الدولة العباسية، ولا غنّت بعده لأحد.

وفيها يقول بعض شعراء الحجاز، وفيه لحن ليعقوب الوادي، وأظن الشاعر مكين العُذري[2]:

يا من يلوم اليوم في غدر اقصرْ، فما للقلب من صبر
بدرٌ لنا غابت إنارته عنا، وحل بمنزل الغمر
والله لو طلعت مباهية للبدر، ما نقصت عن البدر

أخبرني بذلك جعفر بن قدامة، عن محمد بن عبدالله بن مالك ابن إسحاق.

نوار[3]

(كتاب القيان ص ٦٥)

جارية الوليد بن يزيد بن عبد الملك. لها ذكر

قرأت في كتاب علي بن الحسين الأصبهاني:

النوار جارية الوليد بن يزيد بن عبد الملك. لا أعلم لمن كانت،

---

(١) عمر بن داوود الوادي: كان طيب الصوت، وكان أول من غنّى من أهل وادي القرى. اتصل بالوليد بن يزيد فتقدّم عنده جداً ترجمته في الأغاني ٨٨/٨٣/٧

(٢) كان الأصمعي يقول: ختم الشعر بابن هرمة، والحكم الخضري وابن ميادة الكناني، ومكين العذري: الأغاني ٤/ ٣٧٥ ترجمة ابن هرمة.

(٣) ابن عساكر ٤١١ ـ ٤١٢ رقم ١١٩

ولا ممّن ابتاعها. الاّ انها قد أخذت ـ بغير شك ـ عن كبار المغنّين الذين كانوا بحضرته. مثل معبد وابن عائشة وحكم (١) ومن هو فوقهم.

وكانت حظيّة عنده، وهي التي أمرها ان تصليّ بالناس ـ وقد سكر وجاءه المؤذن فأذّنه بالصلاة ـ وحلَف ان تفعل، فخرجت متلثمة عليها بعض ثيابه فصلّت بالناس ورجعت. وكانت لها صنعة صالحة، ورواية كثيرة، مع فضل وعقل. ولم نعرف لها خبراً بعده.

منتخبات من كتاب أدب الغرباء
(ص ٣٢ ـ ٣٧)

ـ قرأت على فناء المسجد الجامع بمتّوث، وهي مدينة بين سوق الاهواز وبين قُرقوب، عند اجتيازي بها مكتوباً: حضر المؤمل بن جعفر البندنيجي في شهر رمضان من سنة سبع وعشرين وثلاث مائة وهو يقول: كنا نسمع أهل العلم يقولون: فقد الأحبّة في الأوطان غربة، فكيف إذا اجتمعت الغربة وفقد الأحبة. وجملة الأمر الذي عرفته من حال الدنيا لا يفي فرحُها بترّحبها، فقلت:

يا من لنو الدنيا يُجاذب   وعلى زخارفها يغاضب
لا تطلبن وصالها   ليست لصاحبها بصاحب
بينا تراها عنده   إذ فارقته ولم تُراقب
اني خبرت حديثها   يا صاح من طول التجارب

---

(١) ابن عائشة وحكم. من كبار المغنّين انظر اخبارهما في الأغاني ٢/ ١٧٠، ٦/ ٢٦٤

وإذا تحته مكتوب بغير ذلك الخط:

صدقْتَ صدقت وعنديَ الخبر سأحذر منها ركوب الخطر
وأحمل نفسي على حالة فإمّا انتفاع وإما ضَرَرْ

- وكنت بجامع الرصافة في مدينة السلام يوم جمعه، وأظن ذلك في سنة إحدى أو اثنتين وخمسين وثلاث مئة. فمرت بي رقعة قد حُذِف بها، كما تفعل العامة برقاع الدعاء. فأخذتها غير معتمد، فاذا فيها بخط مليح في معنى خطوط الكتّاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

رحم الله من دعا لغريب مُذْنَف قد جفاه كلُّ حبيب
ورماه الزمان من كل قطر فهو لا شك ميت عن قريب

- وحدثني شيخ لنا قال: قرأت على حائط مقبرة سيبويه مكتوباً:

رحل الأحبة بعد طول توجُّع ونأي المزار فأسلموك وأوجعوا
تركوك أوحش ما يكون بقفزةٍ لم يؤنسوك، وكربة لم يدفعوا

- وقرأت على حائط مسجد بد سكرة الملك: حضر فلان بن فلان الصرويّ في سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة وهو يقول:

سقى الله أيام التواصل غبّه وردّ إلى الأوطان كلَّ غريب
فلا خير في دنيا بغير تواصلٍ ولا خير في عيشٍ بغير حبيب

- وخرجت انا وأبو الفتح أحمد بن ابراهيم بن علي بن عيسى رحمه الله، ماضيين إلى دير الثعالب في يوم من سنة خمس وخمسين وثلاث مئة للنزهة، ومشاهدة اجتماع النصارى هناك،

والشرب على نهر يزدجرد الذي يجري على باب هذا الدير. فبينا نحن نطوق الدير، ومعنا جماعة من أولاد الكتاب النصارى وأحداثهم، وإذا بفتاة كأنها الدينار المنقوش كما يُقال، تتمايل كغصن ريحان في نسيم شمال. فضربت بيدها إلى يد ابي الفتح وقالت: يا سيْدي، تعال اقرأ هذا الشعر المكتوب على حائط بيت الشاهد. فمضينا معها، وبنا من السرور بها وبظرفها وملاحة منطقها ما الله به عالم. فلما دخلنا البيت كشفت عن ذراع كالفضة، واومأت إلى الموضع، وإذا فيه مكتوب.

خرجت يوم عيدها   في ثياب الرواهب
فسبت في اختيالها   كلَّ جاء وذاهب
لشقائي رأيتها   كاعب في كواعب
هي فيهم كأنها الـ   بدر بين الكواكب

فقلنا لها: انت والله المقصودة بمعنى هذه الأبيات: ولم نشك انها كتبت الأبيات، ولم تفارقنا بقية يومنا.

وقلت فيها هذه الأبيات وأنشدتها إياها ففرحت:

مرّت بنا في الدير خمصانة   ساحرة الناظر فتّانة
ابرزها الرهبان من خدرها   تعظِّم الدير ورهبانه
مرت بنا تخطر في مشيها   كأنما قامتها بانة
هبت لها ريح فمالت بها   كما تثنّى غصن ريحانه
فتيّمت قلبي وهاجت له   احزانه قدْماً واشجانه

وحصل بينها وبين أبي الفتح عشرة بعد ذلك. ثم خرج إلى الشام وتوفي بها، ولا أعرف لها خبراً بعد ذلك.

ـ حدثني أبو محمد حمزة بن قاسم الشامي : قال :

اجترت بكنيسة الرها عند مسيري إلى العراق. فدخلت لأشاهد ما كنت اسمعه عنها. فبينا انا في تطوافي، إذ رأيت على ركن من اركانها مكتوباً بالحمرة: حضر فلان بن فلان وهو يقول: من إقبال ذي الفطنة، إذا ركبته المحنة انقطاع الحياة، وحضور الوفاة. وأشدّ العذاب تطاول الأعمار في ظل الأدبار. وانا القائل:

ولي همة ادنى منازلها السُّها   ونفس تعالى في المكارم والنهى
وقد كنت ذا حال بمرو قريبة   فبلّغت الأيام بي كنيسة الرها
ولو كنت معروفاً بها لم أُقِم بها   ولكنني اصبحت ذا غربة بها
ومن عادة الأيام ابعادُ مصطفى   وتفريق مجموع وتنغيص مشتهى

فاستحسنت النظم والنثر وحفظتهما.

المصادر والمراجع

المصادر

- آثار البلاد وأخبار العباد: للقزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ) دار صادر - بيروت ١٩٦٠
- أدب الغرباء: أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت بعد ٣٦٢ هـ) تحقيق دكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٢
- أخبار الشعراء المحدثين: للصولي، أبي بكر محمد بن يحيى (٣٣٥ هـ) ت هيورث ط ٢ - بيروت ١٩٧٩
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: للسخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (٩٠٢ هـ) نشر القدسي دمشق ١٩٤٨
- الأغاني: لابي الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت بعد ٣٦٢ هـ) ط. دار الكتب المصرية الكاملة ١٩٢٧ - ١٩٧٤
- أنباء الرواة على ابناء الرواة: للقفطي جمال الدين بن يوسف (٦٤٦ هـ) تحقيق ابي الفضل ابراهيم دار الكتب المصرية ١٩٥٢
- البداية والنهاية: لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر (٧٧٤ هـ) مكتبة المعارف - بيروت ١٩٦٦

- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس: للضبي احمد بن يحيى (٥٩٥ هـ) تحقيق مصطفى السقا، دار الكتاب بيروت ١٩٦٥

- تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي احمد بن علي (٤٦٣ هـ) ط الخانجي - مصر ١٩٣١

- تجارب الأمم: ابن مسكويه، ابو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (٤٢١ هـ)

- تجريد الأغاني من المثالث والمثاني: لابن واصل الحموي (ت ٦٩٧ هـ) تحقيق طه حسين وابراهيم الأبياري القاهرة ١٩٥٥

- جمهرة انساب العرب: لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف - مصر ١٩٦٢

- الحلة السيراء: لابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) ت. حسين مؤنس ط. الشركة العربية - القاهرة ١٩٦٣

- حلية المحاضرة: للحاتمي محمد بن المظفر (٣٨٨٢ هـ) تحقيق جعفر الكتاني - بغداد. دار الرشيد ١٩٧٩

- ذكر أخبار أصفهان: لأبي نعيم الأصفهاني أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠) ت ديدزنغ - بريل - ليدن ١٩٣٤

- روضات الجنات في أحوال العلماء السادات: محمد باقر الموسوي الخونساري (١٣١٣ هـ) طهران

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) القاهرة ١٣٥٠ هـ)

ـ الضوء اللامع: للسخاوي شمس الـدين محمد بن عبـد الرحمن (٩٠٢ هـ) ط القاهرة ١٩٣٥

ـ طبقات الشعراء المحدثين: لابن المعتز عبدالله (٢٩٦ هـ) ت. عبد الستار فراج دار المعارف بمصر ١٩٧٦

ـ العبر في خبر من غبر: للحافظ الـذهبي (٧٤٨ هـ) ت فؤاد سيد الكويت ١٩٦١

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر: لابن خلدون (٨٠٨ هـ) دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٥٨

ـ العمدة في صناعة الشعر: لابن رشيق القيرواني ابي علي الحسن (ت ٤٥٦ هـ) ت محمد محي الدين عبد الحميد ط ٤ مصر

ـ الفخري في الاداب السلطانية: لابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠١) ط. مصر ١٣١٧ هـ ودار صادر بيروت ١٩٦٠

ـ الفرج بعد الشدة: للتنوخي ابي علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤) ت. عبود الشاكجي دار صادر بيروت ١٩٧٨

ـ الفهرست: لابن النديم، أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب بن اسحق (ت ٣٨٣ هـ) ـ الفهرست المكتبة التجارية بمصر

ـ فوات الوفيات: لابن شاكر الكبتي (٧٦٤ هـ) ت. احسان عباس دار صادر ـ بيروت ١٩٧٤

ـ الكامل في التـاريخ: لابن الأثيـر عز الـدين علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ) دار صادر بيروت ١٩٦٦

ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة كاتب جلبي (ت ١٠٦٧ هـ) وكالة المعارف ١٩٦١

ـ لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) ط. مصورة عن الهندية ـ بيروت

ـ مختار الأغاني: لابن منظور محمد بن المكرم (ت ٧١١ هـ) تحقيق إبراهيم الابياري القاهرة ١٩٦٥

ـ المختصر في أخبار البشر: لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي (ت ٧٣٣ هـ) دار الفكر ـ بيروت ١٩٥٦

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان: لليافعي عبدالله بن مسعد (٧٦٨ هـ) دار المعارف العثمانية حيدر اباد ـ الهند ١٣٣٨ هـ)

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: للمسعودي علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) ت محي الدين عبد الحميد مصر ١٩٥٨

ـ معجم الأدباء: لياقوت الحموي شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ت ـ الرفاعي القاهرة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨

ـ مفتاح السعادة: لطاش كبري زاده (٩٦٨ هـ) دار المعارف العثمانية الهند ١٣٣٨ هـ

ـ مقدمة ابن خلدون: لعبد الرحمن الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ) دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٦١

- مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج الأصفهاني ت أحمد صقر القاهرة ١٩٤٩

- المنتظم في اخبار تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي ابي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ) ط. حيدر آباد - الهند ١٣٥٨ هـ

- ميزان الاعتدال: للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨ هـ) ت. البجاوي - القاهرة

- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب: للمقرى احمد بن محمد التلمساني (١٠٤١ هـ) ت. احسان عباس بيروت ١٩٦٨

- الوافي بالوفيات: للصفدي صلاح الدين خليل بن ايبك (٧٦٤ هـ) ت. ديدرنغ - فيسبادن ١٩٧٠

- وفيات الاعيان وانباء أهل الزمان: لابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) ت. احسان عباس دار صادر بيروت ١٩٧١

- يتيمة الدهر: للثعالبي ابي منصور (٤٢٩ هـ) ت محمد محي الدين عبد الحميد ط ٢ بيروت ١٩٧٣

المراجع :

- أبو الفرج الأصفهاني : شفيق جبري دار المعارف بمصر ١٩٦٥
- أبو الفرج الأصفهاني وكتابة الأغاني : محمد عبد الجواد الأصمعي القاهرة ١٩٦٨
- الإعلام : خير الدين الزركلي ط ٣ القاهرة ١٩٥٤
- تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ترجمة النجار مصر ١٩٧٤
- تاريخ الأدب العربي : رينولد نيكلسون ترجمة صفاء خلوصي. بغداد ١٩٦٧
- تاريخ الاسلام السياسي : حسن ابراهيم حسن القاهرة ١٩٦٢
- تاريخ التراث العربي : فؤاد سزكين ترجمة فهمي وابو
- دراسة كتاب الأغاني : داوود سلوم دار النهضة القاهرة ١٩٧٧
- رنات المثالث والمثاني : للأب انطوان صالحاني اليسوعي ط. بيروت ١٩٣٣
- صاحب الأغاني أبو الفرج الراوية : محمد أحمد خلف الله القاهرة ١٩٦٨
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي : شوقي ضيق دار المعارف مصر ١٩٦٥
- النثر الفني : زكي مبارك القاهرة ١٩٣٤

الفهـــرس